عيسى عليه السلام

وعلامات السّاعة الصّغرى والكبرى

د. شيرين لبيب خورشيد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصّة رقم 29

عيسى عليه السّلام

وعلامات السّاعة الصّغرى والكبرى

د. شيرين لبيب خورشيد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بفضل الله تعالى تتمّ الصّالحات فهاهو عيد الفطر قد ثبتت رؤية هلاله، وأُعلِن عن قدومه، وكم غمرتهم الفرحة بوجود جدّيهم لقضاء الأوقات السّعيدة بصحبتهم في لقاء الأهل والأصحاب، واستقبال بعد غياب طويل.

وهكذا مرّت الأيّام ومضت عطلة الصّيف بعد أن خطّط الوالدان لقضائها في بلدهم (لبنان) فصفاء لا زالت صغيرة ولا تتحمّل أعباء السّفر... وقد تخلّل هذه العطلة الذّهاب إلى المناطق السّياحيّة للاستمتاع والتّفكّر في آيات الله (فلبنان) يتمتّع بطبيعة خلّابة بين الجبل والسّاحل وبين النّهر والبحر...

وبعد وداع الجدّ والجدّة والوعد بعودتهم مرّات عديدة عاد أفراد الأسرة إلى مكان إقامتهم وكلهم أمل بلقاء جديد مع الجدين.

اتّفق سامي وجميل وأحمد على الذّهاب إلى المكتبة العامّة لاستعارة الكتب النّافعة التي ذكرتها لهم والدتهم وخاصّة فيما يتعلّق بقصّة عيسى عليه السّلام، وأشراط السّاعة...

وفي أحدى الليالي المقمرة جلس الجميع في حديقة المترل؛ يلعبون مع صفاء التي بدأت المشي بخطى وهنه... مع ضحكات سامي معها، لقد اشتروا لها جميع الألعاب التي تناسب هذا العمر من أرجوحة وكرة وألعاب أخرى تستطيع اللعب بها...

دخل أحمد إلى الحديقة ومعه أكواب العصير اللذيذ (الليمون مع النّعناع المثلّج) الذي اشتهر أحمد بتحضيره...

جلس الجميع كما اعتادوا وتركوا لصفاء حرّيّة اللعب بما تريد، ليتسنّى للأسرة إكمال قصّة عيسى عليه السّلام.

قالت أمّ أحمد: سبحان الله مرّت الأيّام على سفر الجدّ والجدّة ونحن نفتقدهم في جلستنا هذه...

الأولاد... بصوت واحد لا إراديّ... وعدنا جدّتنا وجدّتنا بأن نخبرهم باقي القصّة...

ابتسم الأبوان لسرعة بديهة الأولاد ودعَوا الله لهم بالتّوفيق دومًا وحفظ صحتهم وحبهم للعلم.

أمّ أحمد: وصلنا بفضل الله تعالى إلى معجزات سيّدنا عيسى عليه السّلام، ونلاحظ أنّ القرآن حرص على بيان أنّ ما قَدّمه عيسى عليه السّلام لبني إسرائيل من الآيات هو آيةٌ من آيات الله وفضله سبحانه، ولذلك تكرّرت كلمة "آية" في النّصِّ القرآنيّ الذي أخبر عن تلك الآيات، قال تعالى: **{وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}** [آل عمران: 49 ــ 51].

تكرّرت كلمة آية ثلاث مرّات: **{قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}** في البداية. و**{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** في الوسط. و**{وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}** وفي النّهاية...

وهذا التّركيز القرآنيّ على آيات عيسى عليه السّلام، دليل على أهمّيّة الآيات للأنبياء، ودليل على أنّ عيسى عليه السّلام عبد الله ورسوله، كان يتلقّى الآيات من الله، ويقدّمها لبني إسرائيل...

وبعدما قدّمَ عيسى عليه السّلام آياته لبني إسرائيل أخبرهم أنّ رسالته هي استمرار لرسالة سلفه موسى عليه السّلام في أساسها وروحِها، ولهذا هو مصدّق للتّوراة[1]: **{وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ}... {آل عمران: 50]**.

أبو أحمد: نعم لقد كانت الآيات تشير دومًا إلى أنّه عبد الله ورسوله، عَلِمَ الله عزَّ وجلَّ أنّهم سيسارعون إلى الكفر بهذه الآيات جميعًا... كان عيسى عليه السّلام حريصًا على التّأكيد على الفصْلِ بين الألوهيّة والعبوديّة، وعلى أنّه عبد الله ورسوله، وأنّ الله ربُّه وربّ العالمين. وكان يخبر بني إسرائيل المدعوّين بذلك، ولهذا ختم بيانه الدّعويّ إلى بني إسرائيل بقوله: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [آل عمران: 51].

جميع الأنبياء مسلمون، وجميع الأنبياء دعَوْا أقوامهم إلى الصّراط المستقيم، جميع الأنبياء توحيدهم واحد... فلا حجّة لهم بأن لا يتّبعوا رسالة محمّد عليه أفضل الصّلاة والتّسليم...

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص310 ــ 311.

أمّ أحمد: نعم. ألا تلاحظون أنّ الآيات السابقة تثبت هذه المعلومات التي جاء بها رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وقد دعا النّصارى واليهود بعد صلح الحديبيّة إلى الإيمان بها حينما أرسل الرّسائل لجميع الأمم ليدخلوا في دين الله... أي يتّبعوا منهج الله عزَّ وجلَّ والسّير على الصّراط المستقيم... ولكنّهم لم يتّبعوا هذا النّبيّ الأمّيّ ﷺ المذكور لديهم في الإنجيل والتوراة... ترى ما كان موقفهم من عيسى عليه السّلام في زمانه... هل آمنوا به؟ هل اتّبعوا هذا الرّسول الآية في خلقه من روح الله؟

لكنهم بعد كلّ هذه المعجزات وبعد كلّ هذه الآيات كفروا به وكذّبوه، واتّهموه بأنّه ساحر كذاب، وأنّ ما معه سحرٌ مبين[1].

ولم يؤمن به إلّا عدد من الصّالحين منهم، وصفهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه المبين "الحواريّين".

أبو أحمد: ما معنى "الحواريين" التي وردت في القرآن خمس مرّات، وكلّها في وصف أتباع عيسى عليه السّلام المؤمنين، وكلّها واردة بصيغة الجمع؟

لن ندخل بالمعنى اللغوي لمعنى الحواريين سوى ما رجّحه الإمام ابن كثير أنّهم سُمّوا الحواريّين لأنّهم آمنوا بعيسى عليه السّلام وأيّدوه ونصروه، لأنّ الحواريّين مشتقّة من "حور" وهذه المادّة عربيّة أصيلة.

والحواريّ هو: الصّاحب والنّاصر، الذي ينصر النّبيّ ويؤيّده ويتّبعه[2]...

ودليل ذلك ما رواه البخاريّ ومسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: ندب النّبيّ ﷺ النّاس يوم الخندق، فانتدب الزّبير، ثمّ ندب، فانتدب الزّبير، ثمّ ندب النّاس، فانتدب الزّبير.

فقال ﷺ: **"إنّ لكلّ نبيّ حواريًّا، وإنّ حواريَّ الزّبير بن العوام..."**[3].

أراد رسول الله ﷺ أن يقوم واحدٌ من أصحابه لينظر ما يفعل المشركون يوم الأحزاب، فنَدَبهم وخيَّرهم، وكان الزّبير بن العوّام هو الذي يقوم في المرّات الثّلاث.

وهذه الحادثة مع الزّبير غير الحادثة الأخرى التي بعث فيها رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ليدخل معسكر الأحزاب، فهما حادثتان منفصلتان[1].

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص312.

(2) المرجع السابق، ص314 بتصرف.

(3) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب هل يبعث الطليعة وحده؟ وأخرجه مسلم: حديث رقم 2415.

وعلَّقَ رسول الله ﷺ على قيام الزّبير في المرّات الثّلاثة بأنّ الله جعل لكلّ نبيٍّ حواريًّا يؤيِّدُه وينصره وإنّ حوارِيَّه هو الزّبير بن العوّام رضي الله عنه. أي أنّ الزّبير هو ناصر رسول الله ﷺ من البشر، ومؤيِّده ومتابِعُه.

وليس معنى هذا قصر النّصرة على الزّبير وحده، ونفيَها عمّن سواه من المهاجرين والأنصار. وإنّما معناه أنّه كان أبرزَ حواريٍّ وناصرٍ لرسول الله ﷺ في تلك الحادثة.

وإلّا فإنّ الصّحابة كانوا جميعًا حواريّين لرسول الله ﷺ، نصروه واتّبعوه وأيّدوه، وكانوا أفضل من الحواريّين أتباع عيسى عليه السّلام(2).

سامي: قلت إنّهم بعد كلّ هذه المعجزات كفروا!!

أمّ أحمد: نعم بنيّ، فبعد كلّ هذه المعجزات، فقط الحواريّون هم من لبّى دعوته وأجابوه قائلين: **{نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}**.

أبو أحمد: لقد أحسّ عيسى عليه السلام منهم الكفر قال تعالى: **{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}** [آل عمران: 52 ــ 53].

جميل: الآيات واضحة جدًّا بأنّهم مسلمون صحيح اسمهم نصارى ولكنّهم مسلمون... مؤمنون بالله وحده والآية واضحة **{رَبَّنَا آمَنَّا}** كيف ينكرون ذلك في وقتنا الحاضر؟؟

أمّ أحمد: نعم. بنيّ... الحواريّون في وقت عيسى عليه السّلام مسلمون... أمّا في وقتنا الحاضر فنسمّيهم بما سمّاهم الله عزَّ وجلَّ به **{أَهْلَ الْكِتَابِ}** وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في آيات في سورة آل عمران فقد ورد 6 مرّات. 4 مرّات في سورة آل عمران ومرّة واحدة في سورة النّساء ومرّة واحدة في سورة المائدة بالنّداء **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ}** قال تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}** [آل عمران: 65].

وقال تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}** [آل عمران: 70].

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص314 ــ 315.

(2) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص314 ــ 315.

وأيضًا في سورة [آل عمران: 71]، وفي سورة [النساء: 171] وفي سورة [المائدة: 19]، وأهل الكتاب هم من لم يؤمن برسالة محمّد ﷺ، وبعدما حارب رسول الله ﷺ اليهود الذين يقطنون يثرب قبل الهجرة والمدينة بعد الهجرة (بني قينقاع وبني نضير وبني قريظة) سمّوا (أهل الكتاب)، وسنرى لاحقًا أنّ لهم أحكامًا من عند الله عزَّ وجلَّ في كيفيّة التّعامل معهم نذكرها لاحقًا.

المهمّ الآن ما فعل الحواريّون الذين شهدوا بأنّهم مسلمون فهذا دليل (أنّهم آمنوا بعيسى عليه السّلام، ودخلوا في دينه، ويكونون قد استسلموا وأسلموا وخضعوا لله سبحانه لأنّ الإسلام ـــــ في معناه العامّ ـــــ هو الخضوع المطلق لله)[1].

أبو أحمد: نعم كلّ نبيّ جاء بالإسلام، وإنّ دين كلّ نبيّ هو الإسلام، وإنّ أتباع كلّ نبيّ مسلمون، الإسلام بمعناه التّاريخيّ العامّ، وليس بمعناه الخاصّ المحدّد الذي هو دين محمّد ﷺ!

وهذه الآية صريحة بأنّ عيسى عليه السّلام جاء بالإسلام، وأنّ دينه هو الإسلام، وأنّ أتباعه هم المسلمون، فهاهم الحواريّون يصرّحون قائلين: **{آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}**، والأهمّ كيف توجّهوا إلى الله يتضرّعون إليه ويعلنون أنّهم آمنوا به ربًا ويتبعون دينه منهجًا[2].

قال تعالى: **{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}** [آل عمران: 53]، ورغم ذلك طالبوا سيّدنا عيسى عليه السّلام أن يترل عليهم مائدة... ذُكرت هذه الحادثة في سورة المائدة هَلّا تلوها علينا بيّ...

أحمد: بعد أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم **{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}** [المائدة: 112 ــ 115].

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص318.

(2) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص319.

الوالدان: لا فضّ فوك بنيّ...

أمّ أحمد: قريبًا تلبسنا تاجًا فقد ورد أنّ رسول الله ﷺ قال: **"من قرأ القرآن وعَمِلَ بما فيه أُلبِسَ والداهُ تاجًا يوم القيامة: ضوؤُه أحسن مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ في بيوتِ الدُّنْيا لو كانت فيكم، فما ظَنُّكُمْ بالذي عمل بهذا؟!"**(1).

فما ظنّكم بمن حفظ القرآن الكريم فهو من أهل الله وخاصّته، عن عائشة، عن النّبيّ ﷺ قال: **"مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظٌ لَهُ، مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران"**(2).

فيا ربّ تكونون من الذّرّيّة الصّالحة، جميعكم، سامي وجميل ومعكم صفاء...

سرّ جميل وسامي بدعوة والدهم لهما وتشجّعا لإكمال حفظ القرآن الكريم فقد بدءا بالحفظ أيضًا.

أبو أحمد: حتّى لا ننسى القصّة علينا العودة إلى الآيات في سورة المائدة، ومعرفة معجزة المائدة التي نزلت على الحواريّين.

جميل: قال تعالى: **{هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ}** هل وصلت بهم الجرأة إلى هذا الطّلب؟ مع العلم أنهم هم الحواريون الذين آمنوا واستسلموا لمنهج الله!!

أبو أحمد: اختلف العلماء!! هل كانوا شاكّين في قدرة الله على إنزال المائدة؟ أم كانوا مؤمنين بقدرته على ذلك!!

والرّاجح من سياق الآيات يدلُّ عليه. فقد كانوا مؤمنين بالله، ومصدِّقين لعيسى عليه السّلام، لكنّ إيمانهم بالله لم يكن تامًا، وإنما فيه بعضُ الضّعف، رغم ما شاهدوا من معجزات عيسى عليه السّلام وآياته الدّالّة على قدرة الله المطلقة.

فبعدما شاهدوا تلك المعجزات تطلّعت نفوسهم إلى ما هو أعلى، فأرادوا آيةً يستفيدون منها ماديًا، فائدة إيمانيّة ودنيويّة، أرادوا مائدة يأكلون منها!!

---

(1) رواه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، حديث رقم (1453).

(2) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة **{عبس}** حديث رقم (4937).

فكأنّهم قالوا لعيسى عليه السّلام: عرفنا من الآيات السّابقة التي شاهدناها على يديك أنّ الله قد استطاع إجراءَها، وقدر على إيجادها، وأيقنّا أنّه قادرٌ على ذلك، فهل يستطيع ربّك الذي استطاع إنزال الآيات عليك، أن يترل علينا مائدة من السّماء؟

ومع ذلك دلّ سؤالهم على ضعف إيمانهم بقدرة الله المطلقة، وكره عيسى عليه السّلام سؤالهم[1]، فقال لهم: **{اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**.

ومعنى كلامه: راقبوا الله وخافوه، واحذروا أن يترل بكم عقوبة على قولكم هذا، فإنّ الله لا يعجزه فعل شيء أراده، وشكُّكُم في قدرة الله على إنزال المائدة من السّماء كفرٌ بالله، فتخلّوا عن ذلك واتّقوا الله إن كنتم مؤمنين به ومصدّقين لي[2].

أحمد: إن أكملنا الآيات في سورة المائدة سنرى حجّتهم وما هو هدفهم من هذا الطّلب.

أبو أحمد: صدقت بنيّ فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ أنّ هدفهم من إنزال المائدة يتمثّل في أربع نقاط:

الأولى: {نريد أن نأكل منها} وهذا يدل على أنّ القوم جائعون، وليس عندهم طعام، وشاهدوا آيات الله السّابقة، فأرادوا أن يكرمهم ربُّهم بإنزال مائدة ليأكلوا منها.

الثّانية: {وتطمئن قلوبنا}... نريد أن تطمئنَّ قلوبنا بعد أن نأكل من المائدة، فتزداد يقينًا وطمأنينة بأنّ الله معنا، يكرمنا وينعم علينا.

ومعلوم أنّ المؤمن بالله، تزداد طمأنينة قلبه عندما يرى آيةً ماديّةً من الله، ويشاهد معجزة باهرة منه أمامه.

وهذا يذكّرنا بجواب إبراهيم عليه السّلام، يعلّل فيه هدفه من طلبه أن يريه الله كيفيّة إحياء الموتى، وهذا مذكور في قوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}** [البقرة: 260].

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص326.

(2) انظر: تفسير الطبري تقريب وتهذيب 359/3، الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص326.

الثّالثة: {ونعلم أن قد صدقتنا}: نزداد علمًا بأنّك قد صدقتنا في نبوّتك وآياتك ومعجزاتك، فمعجزاتك السّابقة موجّهة للآخرين، ونحن لم ننتفع منها منفعة دنيويّة، ونريد منه آية خاصّة لنا، تصدقنا وتكرمنا بها.

الرّابعة: {ونكون عليها من الشاهدين}: نريد أن نشهد على إنزال المائدة، ونقدّم شهادة بذلك على أنّ الله أيّدك بهذه الآية، وجعلها برهانًا ودليلًا على نبوّتك، ونخبر الآخرين[1].

أحمد: هل أرادوا أن يكونوا شاهدين آية بإنزال المائدة بعد كلّ هذه المعجزات التي تثبت نبوّة عيسى عليه السّلام، وعلى قدرة الله المطلقة على فعل ما يريد؟[2].

أبو أحمد: نعم بنيّ... مع ذكرهم أهدافهم الأربعة من طلبهم إنزال المائدة، إلّا أنّ الطّلب يدلُّ على شكِّهم في قدرة الله المطلقة، ممّا دعا عيسى عليه السّلام إلى الإنكار عليهم، وهذا مأخذ يؤخذ عليهم[3].

أمّ أحمد: ومع هذا كلّه بعدما عرف عيسى عليه السّلام أهدافهم من طلب المائدة، اطمأنّ إلى إيمانهم، واستجاب لطلبهم، فدعا الله ربّه أن يترل عليهم المائدة من السّماء.

جميل: مائدة مائدة؟!!

أمّ أحمد: نعم مائدة من السّماء!!

{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [المائدة: 114].

دعا عيسى عليه السّلام ربّه بتضرّع وخشوع، أن يترل عليهم مائدة ليكون هذا اليوم عيدًا للأحياء منّا وقت نزولها، ولمن يجيءُ بعدنا.

طلب من الله عزَّ وجلَّ أن تكون المائدة آية ومع الدّعاء بأن يرزقهم فهو خير الرّازقين[4].

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص327.

(2) المرجع اسابق، 327 بتصرف.

(3) المرجع السابق، 327 بتصرف.

(4) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص331.

وبعدها جاءه الجواب من عند الله **{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}** [المائدة: 115].

هكذا أجرى الله هذه الآية الباهرة والمعجزة الخارقة، فبينما كان الحواريّون جالسين مع عيسى عليه السّلام بعدما دعا ربّه، أنزل الله عليهم مائدة من السّماء وكان إنزالها تصديقًا من الله لعيسى عليه السّلام وتكريمًا من الله له وللحواريّين المؤمنين، وحقّقوا مرادهم منها فأكلوا واطمأنّت قلوبهم وعلموا أنّ الله يكرمهم، وأنّ عيسى قد صَدَقهم، وكانوا عليها من الشّاهدين.

هذا هو حديث القرآن عن إنزال المائدة على الحواريّين، ولم يرد إلا في سورة المائدة في هذه الآيات الأربع.

وتكرّرت كلمة مائدة فيها مرّتان، فمن لطائف التّعبير القرآنيّ أنّ كلمة "مائدة" لم تذكر في القرآن إلّا في سورة المائدة[1]!!

أحمد: هل لي أن أشرح كلمة مائدة؟؟

أمّ أحمد: تفضّل بنيّ...

أحمد: كلمة "مائدة" في الآيات نكرةٌ منوّنة: **{أن ينزل علينا مائدة من السماء}** و**{أنزل علينا مائدة من السماء}**...

وهذا التّنكير والتّنوين يدلّ على الإبهام، فهي مبهمةٌ في القرآن، وليس هناك أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، تضيف جديدًا إلى آيات القرآن[2]، وهذا بعد البحث والتّدقيق.

أمّ أحمد: بارك الله بك بنيّ على هذا الإيضاح، لذا نحن نبقى مع القرآن في حديثه المبهم المقصود عن المائدة ولا نذهب إلى اليهوديّات وروايات السّابقين في تفصيل الحديث عنها، فإنّها كلّها مشكوك فيها عندنا، وموقفنا منها هو "التّوقّف" عندها!

وما رأيكم أن نتوقّف هنا اليوم ونكمل غدًا بإذن الله فصفاء بحاجة لعنايتي الآن...

وافق الجميع على أن يكتبوا ما رواه الوالدان عن قصّة عيسى عليه السّلام التي لم تنتهِ بعد ليخبروا جدّيهما بما آلت إليه أحداث القصّة...

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص332.

(2) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص333.

أمضت الأسرة يومها كالمعتاد من مساعدة الوالدة والذّهاب إلى المكتبة العامّة، ومع ممارسة الألعاب التي اعتادوا على ممارستها في النّادي الرّياضيّ... والمهم مساعدة الوالدة في أعباء المنزل فقد زادت مهامها من خلال تربية صفاء وتأمين جميع حاجياتها وراحتها والأهمّ ما تقوم به أمّ أحمد وهو تنظيم أوقات الطّعام والاستحمام والنّوم... كما فعلت مع إخوتها حينما كانوا صغارًا.

صفا الجوّ وأصبح الجلوس في الحديقة في هذا الوقت بعد صلاة المغرب رائعًا حيث يخيّم الهدوء إلّا من أصوات المارّة والجيران البعيدة عنهم...

وكالمعتاد جهّزت أمّ أحمد أكواب العصير اللذيذ وهذه المرّة أعدّت بعض الفطائر الخفيفة للعشاء...

أمّ أحمد: قلنا سابقًا أنّ عيسى عليه السّلام بَشّر بقدوم رسول الله ﷺ وهو مذكور في الإنجيل (غير المحرّف).

قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** [آل عمران: 81 ــ 82].

هناك في تفسير ابن كثير، قال عليّ بن أبي طالب وعبدالله بن عبّاس رضي الله عنهم في معنى هذه الآية: ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلّا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعِثَ محمّد ﷺ وهو حيٌّ ليؤمنّن به ولينصرنَّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمّته، لئن بعث محمّد ﷺ وهم أحياء، ليؤمننَّ به ولينصرنّه..."[1].

وقد أكّد رسول الله ﷺ الحقيقة التي قرّرتها هذه الآية، فبيّن أنّه لو كان أحد الأنبياء السّابقين حيًّا، وأدرك بعثته لوجب عليه أن يتّبعه.

فروى أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتى النّبيّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النّبيّ ﷺ.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص386 في شرح الآية **{فأولئك هم الفاسقون}**، وهناك أحاديث صريحة كتبها ابن كثير في شرح هذه الآية.

فغضب عليه الصّلاة والسّلام وقال: **"أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية. لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أنّ موسى عليه السّلام كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني..."**[1].

أبو أحمد: نعم لقد بَشَّرَ الأنبياء السّابقين بمحمّد ﷺ وكانت البشارة بشكل أخصّ على لسان موسى وعيسى عليهما الصّلاة والسّلام، كما ذكر الله بعض صفات النّبيّ الخاتم محمّد ﷺ في التّوراة والإنجيل.

وهذا معناه أنّ اليهود والنّصارى كانوا يعرفون من هذه البشارات أنّ الله سيبعثُ النّبيّ الخاتم عليه الصّلاة والسّلام، ولكن لما بعث الله محمّدًا رسولًا ﷺ كفروا به وكذّبوه[2].

قال تعالى: **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [البقرة: 146].

لقد بشّر عيسى بالنّبيّ محمّد ﷺ، لأنّ عيسى عليه السّلام هو آخر أنبياء بني إسرائيل، ولم يكن هناك نبيّ بين عيسى وبين محمّد عليهما الصّلاة والسّلام.

ولهذا كان رسولنا ﷺ هو أولى النّاس بعيسى ابن مريم عليه السّلام[3].

روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى النّاس بعيسى ابن مريم، في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة، أبناء علّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وليس بيني وبين عيسى نبي"[4].

جميل: إن كان هذا قول رسول الله ﷺ، إذن لماذا اليوم نجد العداوة والبغضاء والكره!!!

أبو أحمد: لقد وضّح رسولنا الكريم محمّد ﷺ هذا الأمر بأحاديث صحيحة وشبّه الأنبياء جميعهم بأبناء العلّات، وهو الإخوة لأب، بينما أمّهاتهم شتّى، فبما أنّ الإخوة لأب اجتمعوا على

---

(1) ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص386، الحديث حسن. ورد هذا الحديث برواية أخرى على الشكل التالي: (فقرأها على الرسول).

وذكر الشيخ الألباني شواهد أخرى للحديث يتقوى بها، ويكون حسنًا. انظر: "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل" 34/6 ــ 38.

(2) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص334 ــ 335.

(3) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص335.

(4) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: **{واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}**، حديث رقم (3442).

الأب رغم اختلاف أمّهاتهم، فكذلك الأنبياء اجتمعوا على العقيدة والإيمان رغم اختلاف أَحكامهم وتشريعاتهم[1]...

وأيضًا نستنتج من هذا الحديث أنّه ليس بين عيسى عليه السّلام وبين محمّد ﷺ نبيّ، وهذه معلومة تاريخيّة مهمّة، فبينهما قرابة ستّة قرون لم يبعث الله فيها نبيًّا، ولهذا كانت بعثة محمّد ﷺ على فترة من الرّسل... كما قال تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ}** [المائدة: 19].

أمّ أحمد: وصلنا أخيرًا إلى نهاية قصّة عيسى عليه السّلام فبعد هذه المعجزات، وبعد الدّعوة إلى الله، دعا عيسى عليه السّلام بني إسرائيل إلى اتّباعه والإيمان بالله وحده لا شريك له، ولكنّهم رفضوا دعوته وكفروا به.

ولما ظهر كفرهم واضحًا دعا الحواريّين إلى الانحياز إليه فلبَّوْا الدّعوة.

قال تعالى: في سورة [آل عمران: 52 ــ 53] وقد ذكرناها سابقًا وشرحناها شرحًا وافيًا.

لم يكتفِ بنو إسرائيل بالكفر به وتكذيبه واتّهام أمّه بالباطل، بل ارتقَوْا إلى مستوى أشنع وأفظع، حيث تآمروا عليه ومكروا به وأرادوا قتله، فحماه الله منهم.

وقد امتنّ الله على عيسى عليه السّلام في ذلك[2].

قال تعالى: **{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ}** [المائدة: 110].

تتحدّث الآية عن حماية الله له بإجمال، فلمّا أراد بنو إسرائيل إيذاءه وقتله، كفَّ الله أيديهم عنه.

ففي سورة آل عمران تبيّن لنا مكرهم وخبثهم[3]، قال تعالى: **{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ**

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص335.

(2) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص346.

(3) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص346 ــ 347.

الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [آل عمران: 54 ــ 55].

مكر بنو إسرائيل وأرادوا ايقاع الضّرّ بعيسى بل أرادوا قتله، ورسموا لذلك خطّة دقيقة، ومكروا به مكرًا شيطانيًّا خبيثًا.

والله عزَّ وجلَّ حمى عيسى عليه السّلام من مكرهم وخبثهم ونجّاه الله عزَّ وجلَّ فأنقذه من بين أيديهم بأن ألقى شبهه على غيره، فأخذوا شَبَهَهُ وقتلوه، ظانّين أنّهم قتلوا عيسى عليه السّلام، وبهذا مكر الله بهم.

أخرج الله عيسى عليه السّلام من وسطهم حيًّا وحفظه بحفظه، وحماه بحمايته[1].

جميل: هل تقصدين أنّ هناك من الحواريّين من ألقى الله شبه عيسى عليه السّلام عليه، وأخذوه وقتلوا هذا الشّخص كأنّهم قتلوا عيسى عليه السّلام!!

أمّ أحمد: نعم بيّ الله شبّه لهم شخص عيسى عليه السّلام وأبطل مكرهم عندما توفّاه ورفعه إليه وطهّره منهم.

وتفصيل ذلك في الآية التّالية[2]: **{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}** [آل عمران: 55].

أبو أحمد: سأدلو بدلوي الآن، لأنّ هذه الآية من متشابهات القرآن، وفي معناها إشكالات كثيرة عند النّاس: فما معنى قوله: "متوفّيك"؟ وهل توفّى الله عيسى وأماته على الأرض؟ أم رفعه بروحه وجسمه إلى السّماء؟ وإذا كان الأوّل فكيف سينزل في آخر الزّمان؟ وإذا كان الثّاني فكيف قال: **{إني متوفيك ورافعك إلي}**:

1 ــ فقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير. والتّقدير: إنّي رافعك إليّ، ومطهّرك من الذين كفروا، ومتوفّيك، وذلك بعد إنزالي لك في آخر الزّمان.

وعلى هذا يكون معنى "متوفّيك" مميتك، وإماتته له عند نزوله قبيل قيام السّاعة. فالوفاة على هذا القول بمعنى الموت. [وبه قال ابن عبّاس وقتادة].

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص348.

(2) المرجع السابق، ص348.

2 ــ وقال آخرون: الوفاة هنا بمعنى القبض.

والتّقدير: إنّي قابضك ورافعك إليّ.

فالله قبض عيسى عليه السّلام من الأرض حيًّا، ورفعه إليه، وطهَّره من الذين كفروا.

قال ابن زيد: إنّي "متوفّيك": قابضك، ولم يمت عيسى بعد، حتّى يقاتل الدّجّال، وسيموت بعد ذلك.

لأنّ الله يقول: **{ويكلم الناس في المهد وكهلا}** [آل عمران: 46] فرفعه الله قبل أن يكلّم النّاس كهلًا، وسيترل كهلًا.

ورجّح هذا القول الإمام ابن جرير الطّبريّ.

3 ــ وقال آخرون: الوفاة هنا وفاةُ موتٍ حقيقيّ.

فالآية على ظاهرها.

والرّاجح هنا أنّ الوفاة هي النّوم:

4 ــ وقال آخرون: الوفاة هنا بمعنى النّوم.

فالله ألقى النّوم على عيسى عليه السّلام، ولما نام رفعه إليه ومعنى الآية: إنّي منيّمك، ورافعك إليّ في نومك، ورجّح هذا القول ابن كثير[1].

ونحن مع الإمام ابن كثير في ترجيحه أنّ المراد بالوفاة هنا النّوم، وأنّ الله ألقى على عيسى عليه السّلام النّوم، ثمّ رفعه إليه وهو نائم[2].

ولن نخوض فيما خاض به الآخرون، ما دام هناك أحاديث ثابتة وصحيحة على عودة عيسى عليه السّلام في آخر الزّمان، والخلاصة في معنى الآية: يا عيسى إنّي سأتوفّاك، بأن أُلقى عليك النّوم، عندما يأتي بنو إسرائيل لقتلك، وسأرفعك إليّ في السّماء عند نومك، وبذلك سأطهّرك من بني إسرائيل الذين كفروا، فلن تمتدَّ أيديهم إليك، ولن يؤذوك.

ولما هجم عليه بنو إسرائيل مع الجنود: أنامه الله، ثمّ رَفَعَهُ إلى السّماء، رفع روحه وجسده، وهو حيّ، بطريقةٍ معجزة[1]!!

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص374.

(2) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص349 ــ 351.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمّ أحمد مع الأولاد: جزاك الله خيرًا يا والدي واضح جدًّا ما شرحته...

سامي: حتّى أنا فهمته لا تخف يا والدي... الله عزَّ وجلَّ رفع عيسى عليه السّلام إلى السّماء وهو نائم. والأهمّ أنّه ألقى الشّبه على أحد أنصار الله فأخذوه بدل عيسى عليه السّلام.

أبو أحمد: الحمد لله ربّ العالمين أن وصل الشّرح وافيًا لكم.

أمّ أحمد: لِمَ الاستغراب!! ونحن نعلم علم اليقين أنّ سيّدنا محمّدًا ﷺ ليلة المعراج عُرِج به ﷺ إلى السّماء، بينما لم يدم العروج بمحمّد ﷺ إلى السّماء أكثر من ساعات، حيث أعاده الله إلى مكّة قبل بزوغ فجر تلك الليلة، فإنّ الله الحكيم شاء أن يُبقي عيسى عليه السّلام في السّماء حتّى قبيلَ قيام السّاعة[2].

أبو أحمد: والآيات واضحة "وما قتلوه" وسنرى ذلك في قول الله تعالى، حينما تحدّث عن محاولة بني إسرائيل قتل عيسى عليه السّلام، في سورة المائدة، وفي سورة آل عمران، وفي سورة النّساء، ففي سورة المائدة: **{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ}** [المائدة: 110]، أمّا في سورة آل عمران، فحديث مجمل في حماية عيسى عليه السّلام منهم، بأن ألقى عليه النّوم ثمّ رفعه إليه، قال تعالى: **{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}** [آل عمران: 55]، وفي سورة النّساء، قال تعالى: **{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ**

---

(1) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص357.

(2) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص358.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء: 153 ــ 159].

بنو إسرائيل كفّار ملعونون بسبب موقفهم من عيسى عليه السّلام، **{وَبِكُفْرِهِمْ}** لعنهم الله بسبب كفرهم... فبعد هذه الآيات البيّنات يكفرون بالله، ويكفرون بالرّسل، وموقفهم من مريم عليها السّلام بسبب افترائهم عليها، واتّهامها بالزّنا وهي الطّاهرة العفيفة...

المهمّ ما قتلوا عيسى عليه السّلام وما صلبوه ولكن نزل الشّبه على أحد الحواريّين!! إنّ قضيّة قتل عيسى عليه السّلام وصلبه، يختلط فيها اليهود والنّصارى، فاليهود يقولون إنّهم قتلوه، ويسخرون من قوله: إنّه رسول الله، والنّصارى يقولون: إنّه صلب ودفن، ولكنّه قام بعد ثلاثة أيّام...

والتّاريخ يسكت عن مولد عيسى عليه السّلام ونهايته، كأن لم تكن له في حساب!!

وما من أحد من هؤلاء يقول ما يقول عن يقين...

فلقد تتابعت الأحداث سراعًا، وتضاربت الرّوايات، وتداخلت في تلك الفترة، بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين... إلّا ما يقصُّه ربُّ العالمين!

والأناجيل الأربعة التي تروي قصّة القبض على المسيح عليه السّلام وموته ودفنه وقيامته... كلّها كُتِبَتْ بعد فترةٍ من عهد المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته.

وخير من لخّصَ تلك الأحداث الإمام ابن كثير، ونسجّل قوله فيما يلي:

"وكان من خبر اليهود عليهم لعنات الله وسخطه وغضبه وعقابُه ــ

أنّه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبيّنات والهدى حسدوه على ما آتاه الله من النّبوّة والمعجزات الباهرات... خالفوه وكذّبوه... فلمّا أحسّ عيسى عليه السّلام بمكرهم ومحاصرتهم البيت الذي مكث فيه هو والحواريّون، قال لأصحابه: أيّكم يلقى عليه الشّبه وهو رفيقي في الجنّة؟

فانتدب لذلك شابّ منهم، فكأنّه استصغره عن ذلك! فأعادها ثانية وثالثة، وكلّ ذلك لا ينتدب إلّا ذلك الشّابّ!

فقال له: أنت هو!

وألقى الله عليه شبه عيسى عليه السّلام، حتّى كأنّه هو!!

وفتحت "روزنةٌ" من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السّلام سِنَةٌ من النّوم، فرُفع إلى السّماء وهو كذلك...

فلمّا رفع عيسى عليه السّلام من سقف البيت، خرج أولئك النّفر من البيت...

فلمّا رأى اليهود والجنود ذلك الشّابّ ظنّوا أنّه عيسى، فأخذوه في الليل، وصلبوه، ووضعوا الشّوك على رأسه...

وأظهر اليهود أنّهم سعَوْا إلى صلبه، وتبجّحوا بذلك...

وسلّم لهم طوائف من النّصارى ذلك، لجهلهم وقلّة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنّهم شاهدوا رفعه... وأمّا الباقون فإنّهم ظنّوا كما ظنّ اليهود أنّ المصلوب هو المسيح ابن مريم... حتّى ذكروا أنّ مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت...

وهذا كلّه من امتحان الله عباده، لما له في ذلك من الحكمة البالغة.

وقد أوضح الله الأمر وجلّاه وبيّنه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم ﷺ حيث بيّن أنّهم ما قتلوا عيسى عليه السّلام وما صلبوه، ولكن شُبِّه لهم، حيث ألقى الله شَبَهه على ذلك الشّاب، فبدا لهم عيسى، فقتلوا اشابًّا وصلبوه ظانّين أنّه عيسى!

وأخبر الله أنّ الذين اختلفوا في عيسى عليه السّلام من اليهود الذين ادّعوا قتله، والنّصارى الجهّال الذين سَلَّموا لهم بذلك، كلّهم في شكّ وحيرة وضلال من ذلك.

وأخبر الله أنّهم ما قتلوه متيقّنين أنّه هو، وإنّما كانوا شاكّين متوهّمين.

أمّا عيسى عليه السّلام فقد رفعه الله إليه، والله هو العزيز الحكيم[1].

كبّر الجميع وهلّلوا وسبّحوا الله عزَّ وجلَّ أن حفظ عيسى عليه السّلام.

وهنا قالت لهم أمّ أحمد نكتفي اليوم بهذا، ونعاود الحديث عن نزول عيسى عليه السّلام مع حديثنا عن أشراط السّاعة الكبرى... حين يترل في آخر الزمان...

قام الجميع كالمعتاد وهم يتمتمون بالتّهليل والتّسبيح وبحمد الله على نجاة عيسى عليه السّلام من الكفّار اليهود...

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، ص374 ــ 375، والخالدي، القصص القرآني، الجزء الرابع، ص370 ــ 372 بتصرف.

وفي اليوم التّالي، جلس أحمد في غرفة المكتبة مستغرقًا في قراءة بعض الكتب التي تتحدّث عن أشراط السّاعة، فقد تشوّق للحديث عن أشراطها وخاصّة ما حدث منها وانتهى وما سيحدث في المستقبل أخبر عنها رسول الله ﷺ.

في هذا الحين دخل أبو أحمد وسامي إلى غرفة المكتبة فبادر أحمد بالسّؤال، ها أنت ذا هنا، كنّا نبحث عنك. جهزّنا طعام الغداء و لم نجدك! أمّك وأخواك ينتظرون حضورنا.

أحمد: كنت أتلذّذ بغذاء العقول. (ورفع كتابًا بيده) إنّه يتحدّث عن أشراط السّاعة...

أبو أحمد: حسنًا سيساعدك في التّحدّث عنها حين نتدارس ذلك هذه الليلة، أمّا الآن فتعال لنأكل ونغذّي بطوننا، وفيما بعد تعود لمتابعة غذاء العقول والأرواح.

وهكذا كان.

تسامروا أثناء الطّعام، فقد كان حديثهم عمّا فعله أحمد... وبعد انتهائهم من الطّعام، اختاروا غرفة الجلوس للرّاحة قليلًا بعد الطّعام... أدار أبو أحمد جهاز التّلفاز ليشاهدوا الأخبار و... فجأة انقطعت الأخبار المحلّيّة ووضع مكانها كلمة "ملحق"، وإذ بخبر مثير يطرق أسماعهم ومناظر مروّعة تمرّ أمام أعينهم: لقد ضرب زلزال قويّ في إحدى مناطق قارّة آسية...

نظرت أمّ أحمد إلى وجوه الأولاد وهم يتطلّعون إلى هذه المناظر الطّبيعيّة التي حدثت بسبب هذا الزّلزال وفي حضنها صفاء... وقالت:

سبحان الله أردنا الحديث عن أشراط السّاعة فسبقتنا الأحداث عن الإخبار عن هذا الزّلزال... أغلقوا التّلفاز واستداروا إلى والدتهم التي حاولت تخفيف وطأة المصاب بالذّكر والدّعاء والحفظ والرّعاية بأن يحميهم من هذه المخاطر...

وقالت: سبحان الله! إنّ هذه الزّلازل تذكّرني بيوم القيامة.

وهي شرط من أشراطها وعلامة من علاماتها.

سامي: ذكرت سابقًا أشراط السّاعة، والآن تقولين أشراط يوم القيامة!!

الأمّ: السّاعة هي نفسها يوم القيامة.

جميل: لقد أخبرتنا البارحة أنّك ستحكين لنا عن الأشراط، فمتى سيكون هذا.

الأمّ: ألم نتّفق أن نتحدّث عنها اليوم في سهرتنا.

أحمد: نعم، واتّفقنا أن نحضّر عن هذه الأشراط وهذا ما فعلته قبل موعد طعام الغذاء.

الأمّ: إذن نجهّز أنفسنا لهذه الأمسية...

وسأحاول وضع صفاء في سريرها لعلّها تنام لتتمكّنوا من الانتباه الجيّد...

قام الجميع للتّجهيز لهذه الأمسية... أمّا أمّ أحمد فأهّت مستلزمات صفاء، وما يحتاجه المطبخ من تنظيف وترتيب بعد تناول طعام الغداء... كالمعتاد جهّزت أكواب العصير اللذيذ الطّازج مع بعض أنواع الحلوى اللذيذة...

جلست العائلة بعد صلاة المغرب كما اعتادت وهذه المرّة أحضرت أمّ أحمد بعض الكتب التي ستستعين بها في الشّرح في هذه الأمسية...

أمّ أحمد: يجب أن تعلموا أوّلًا أنّ السّاعة هي (الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسمّيت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنّها تفاجئ النّاس في ساعة، فيموت الخلق كلّهم بصيحة واحدة)[1].

وأشراط السّاعة هي علامات القيامة التي تسبقها وتدلّ على قربها[2]...

ومن الأمور المعلومة من الدّين بالضّرورة الإيمان باليوم الآخر، أي اليوم الذي يحيي الله فيه الخلق بعد موتهم، ويبعثهم من قبورهم ثمّ يحاسبهم، فيجزيهم خيرًا ويثيبهم الجنّة إن كانوا محسنين، أو يعاقبهم ويدخلهم النّار إن كانوا مسيئين مشركين أو كافرين، ومن لا يؤمن بهذا اليوم فهو كافر والعياذ بالله.

ـــ سامي: تقصدين أركان الإيمان، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟

الأمّ: نعم يا سامي وأفهم قصدك... تقصد كيف نحكم على أمر لا نراه؟؟

وسؤالك هو لِمَ حكم الله عزَّ وجلَّ على من لا يؤمن بيوم القيامة من الكافرين؟ أليس كذلك!!

سامي: نعم. كيف يحكم بالكفر على من لا يؤمن بما لا يرى؟

---

(1) لسان العرب 169/8.

(2) الوابل، يوسف بن عبدالله، أشراط الساعة، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط9، 1418هـ/ 1997م، ص74.

الأمّ: يا سامي، يا حبيبي، بما أنّك آمنت بالله الذي لا تراه بعينيك؛ والملائكة الّذين لا تراهم أيضًا بعينيك، فأنت تؤمن بالغيب، أي ما لا تستطيع أن تراه أو تلمسه أو تسمعه... فكيف آمنت بهم وأنت لا تراهم؟

ــ سكت سامي و لم يُجرِ جوابًا...

الأمّ: يا بنيّ، إنّ حواسنا محدودة، أي إنّ القدرة التي زوّدنا بها الله تعالى محدودة، لها حدّ أدنى وحدّ أعلى، لا تستطيع إدراك ما هو دون حدِّها الأدنى ولا ما هو فوق حدّها الأعلى.

بمعنى أنّنا لا نرى أو نسمع أو نشمّ أو نلمس أو نذوق إلّا بالقدرة المحدودة التي وهبنا الله إيّاها. هذا لا يعني أن ليس هناك إلّا ما نستطيع إدراكه بهذه الحواس، فالعلم توصّل لمعرفة مخلوقات أخرى تعيش معنا، ونحن لا نراها ولا نشعر بوجودها كالجراثيم والبكتيريا وهذا ما يسمى بالحشرات المجهرية، فهل يستطيع أحد إنكار ذلك؟

سامي: لا.

الأمّ: لماذا؟

سامي: لأنّ العلماء لا يخبرون إلّا عن أشياء حقيقيّة، وذلك بعد كثير من التجاري والجهد والعناء والتّقصّي.

الأمّ: إذًا حواسنا هي السّبيل الوحيد لنا للتّعرّف على الوجود من حولنا، وهي منافذ قصيرة المدى، محدودة كمًّا وكيفًا

(ولو منح الإنسان بعض حواس أخرى ــ غير التي هي داخلة في تركيبه لاكتشف من حوله أشياء أخرى...

وقد اكتشف العلم الحديث أنّ الفضاء مملوء بالصّور التي لا نستطيع أن نشاهدها بأبصارنا، وذلك لفقد الانسجام والتّوافق بين وضعها ووضع أبصارنا؛ كما أنّه مملوء بالأصوات التي هي فوق مستوى سمعنا أو دون مستواه الأدنى، ونحن لا نسمع من ذلك شيئًا...)[1].

تابعت الأمّ قائلة: فكيف نعرف إذًا الغيبيّات؟

(1) المرعشلي، يوسف، معرفة الله تعالى، بيروت، دار المعرفة، 1423هـ/ 2003م، ص49 ــ 50 بتصرف.

جميل: ما دامت حواسّنا محدودة كما تقولين، فليس لنا سبيل لمعرفة الغيبيّات إلّا العقل والعلم.

الأب: العقل! هل تعتقد أنّ العقل يستطيع الوصول إلى الغيبيّات بدون عون من أحد؟ عقولنا أيضًا محدودة لا تستطيع التّعرّف إلّا على ما هو موجود بالفعل على وجه الأرض، أي أنّ هذه الأشياء تكون موجودة، قد تمّ خَلْقُها، فيستطيع العقل بواسطة القدرة المودعة فيه الوصول إليها بقليل من الجهد أو كثير منه، ولكنّه لا يمكنه التّوصّل إلى الغيبيّات، أي الأشياء التي ما تزال في علم الله، فلا يمكن لأحد معرفة ماذا سيحصل غدًا، وهناك أمور (من مصلحة الإنسان أن لا يدركها بمجرد عقله، لأنّها غير داخلة في مجال العقل ودائرته، "فمن أين للعقل معرفة الله تعالى ــ بأسمائه وصفاته...؟ ومن أين له معرفة شرعه ودينه الذي شرعه للنّاس... إنّ الذي يدرك تفاصيل ما جاء به الشّرع بعقله وإن أدركك التّفاصيل فهو إدراك لبعض الجزيئيّات وليس إدراكًا كلّيًّا شاملًا)[1]... ولو كان العقل يستطيع الوصول إلى الحقائق الغيبيّة لوحده ما عبد أحد النّيران ولا الحيوانات ولا الشّمس ولا القمر...

جميل: ما هو طريقنا إذًا لمعرفة ما حولنا؟

الأمّ: لدينا ثلاث طرق لمعرفة الأشياء وهي الحواس والعقل، والخبر الصّادق، وقد علمتم أنّ حواسّنا وعقولنا محدودة وقاصرة، فلم يعد لنا وسيلة إلّا الخبر الصّادق الذي يصل إلينا عن طريقين وهما: كتاب الله، القرآن الكريم، وسنّة رسوله ﷺ.

فإذا أخبرنا القرآن بشيء غيبيّ، أو إذا أخبرنا الرّسول بشيء لا نراه أو نشعر به، ولم نصدّق نكون قد كفرنا، لأنّ المؤمن هو الذي وصفه الله تعالى في سورة البقرة: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** [البقرة: 285].

سامي: أعرف من القرآن الكريم ذكر "يوم القيامة"، وكأنّها كثيرة أليس كذلك؟

الأمّ: أجل، لقد ذكر الله عزّ وجلّ يوم القيامة قرابة الأربعين مرّة، وتهدّد الذين لا يؤمنون بها **{وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}** [الفرقان: 11]، وقال تعالى أيضًا: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ**

(1) الأشقر، عمر، الرسل والرسالات، الأردن، دار النفائس، ط6، 1415هـ/ 1995م، ص35 ــ 36 بتصرف.

الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} [الروم: 12 ــ 14].

سامي: وهل هناك من لا يؤمن بيوم القيامة؟

الأمّ: نعم. هناك من لا يؤمنون بيوم القيامة، مع العلم إنّهم يرون الموت كلّ يوم، والموت هو أوّل منازل الآخرة!

هل يعقل أن يعيش النّاس حياتهم بشكل طبيعيّ فيحسنون ويسيئون، ويؤمنون بالله أو يكفرون، ثمّ يموتون فيتساوى الجميع بعد الموت فلا يثاب المحسنون ولا يجازى المسيئون؟

فهل يعقل هذا؟ الله سبحانه وتعالى أنكر هذا الكلام، أي أنّه أنكر المساواة بين المؤمنين والكافرين، والخيّرين والشّرّيرين في قوله تعالى: **{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}** [القلم: 35 ــ 36]. وقال تعالى: **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ}** [الزمر: 9].

والله سبحانه وتعالى أكّد كثيرًا حدوث يوم القيامة لأنّ عدم وجوده سيغري الكثيرين بظلم النّاس، ولماذا لا يفعلون ما دام أحد لن يحاسبهم؟ **{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}** [الأنبياء: 17 ــ 18].

جميل: ومتى سيكون ذلك اليوم؟

أحمد: كثير من العاملين في مجال الحساب والفلك وغيرهم يقومون بدراسات حسابيّة لما تبقّى من عمر الأرض، ويزعم بعضهم أنّه توصّل لمعرفة ذلك الوقت.

الأب: لا يا أعزّائي، لا تصدّقوا هذا الكلام، فالله عزَّ وجلَّ لم يخبر أحدًا بذلك، وهو لم يخبر به أحبّ الخلق إليه، سيّدنا محمّدًا ﷺ، ولن يسمح لأحد بالوصول إليه، عن طريق الحساب أو التّنجيم، لأنّه من الغيبيّات التي لا سبيل إلى معرفتها إلّا عن طريق الخبر اليقينيّ. وعلم السّاعة اختصّ الله عزَّ وجلَّ نفسه بمعرفته وأمر سيّدنا محمّدًا ﷺ أن يجيب من يسأله عنها أن يرجع علمها إلى الله

تعالى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب: 63].

وقال أيضًا: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات: 42 ــ 46].

تتابع الأمّ فتقول: هناك شيء آخر مهمّ: لن يعرف أحد موعد السّاعة لأنّها لن تأتي إلّا بصورة مفاجئة.

وهذا ما قاله تعالى: {لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً} [الأعراف: 187].

وقد ورد ذكر مجيء السّاعة بغتة ثلاث عشرة مرّة في القرآن الكريم. منها مرّة جاءت مقترنة بأشراطها: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد: 18].

جميل: وما هي أشراطها؟

أمّ أحمد: أشراط السّاعة نوعان: صغرى وكبرى. واليوم بإذن الله سنتحدّث عن الأشراط الصّغرى، ونترك الأشراط الكبرى ليوم غدٍ إن شاء الله تعالى.

الجميع: إن شاء الله تعالى. هيّا، إنّا نستمع.

الأمّ: أعلمنا الصّادق المصدوق سيّدنا محمّد ﷺ أنّ هناك عددًا لا بأس به من العلامات والأحداث ستجري بين يدي السّاعة، كلّها تدلّ على اقتراب موعد حساب المخلوقات وإثابتها أو معاقبتها.

وقد اختلف العلماء على تسمية هذه العلامات "صغرى" لا لأنّها غير ذات خطر، وغير ذات تأثير، ولكن هي صغرى بالنّسبة للعلامات الأخرى الكبرى التي يكون لها تأثير كامل وشامل لكلّ الأرض...

وقد بلغ عدد هذه العلامات الصّغرى سبعًا وخمسين علامة، أوّلها بعثة سيّدنا محمّد ﷺ وآخرها يكون بظهور الأعور الدّجال، الذي هو أوّل علامات الكبرى.

سامي (مقاطعًا): ظهور سيّدنا محمّد ﷺ وبعثته إحدى علامات السّاعة؟

الأمّ: أجل، فقد قال سيّدنا محمّد ﷺ: **"بعثت أنا والسّاعة هكذا"** ويشير بإصبعيه فيمدّ بهما[1].

وقال أيضًا في الحديث الذي رواه عنه أنس رضي الله عنه: "بعثت أنا والساعة كهاتين"[2].

وقال في حديث آخر أنّ بعثته هي أوّل أشراط السّاعة: "بعثت في نسم[3] الساعة"[4]، أي بعثت في أوّل أشراط السّاعة وضعف مجيئها.

أحمد: سبحان الله، الرّسول الذي أرسله رحمة للعالمين كافّة، والذي اختتم الله به الأنبياء والرّسل يكون هو أوّل شرط أو علامة ليوم القيامة!!

الأب: طبعًا بما أنّ أوامر الله وشرعه قد وصلت جميعها إلى النّاس عن طريق رسله الكرام، فهذا معناه أنّ الهدف من خلق آدم عليه السّلام وإنزاله إلى الأرض قد تحقّق، وما دام قد تحقّق فمن الضّروريّ أن يستعدّ الخلق لبدء الحساب.

الأمّ: لقد تحقق الكثير من الأشراط التي ذكرها سيّدنا محمّد ﷺ وبقي القليل. منها قبض العلم وظهور الجهل، وانتشار الزّنا والرّبا، وظهور المعازف واستحلالها، وكثرة شرب الخمر وتقارب الزّمان، والأسواق، وغيرها ممّا سنتكلّم عنه اليوم، ولكن بدون ترتيب زمنيّ.

أنصت الأولاد جيّدًا وشنّفوا آذانهم حتّى لا تفوتهم كلمة.

ــ أكملت الأمّ: سنبدأ الآن بعلامة نعيشها وتؤثّر في حياتنا اليوميّة ألا وهي تقارب الأسواق، فقد صار الواحد منّا بفضل ما تمّ من اختراعات علميّة وخصوصًا ما يسمى "الإنترنت"ــ قادرًا على معرفة ما يتمّ عرضه في جميع أسواق العالم من بضائع وسلع، ومن مؤلّفات علميّة وأدبيّة ومن أدوية وعقاقير، ولم يعد الإنسان مضطرًا لترك أعماله والسّفر إلى أماكن بعيدة لقضاء حوائجه أو الاتّصال بأقاربه وأصحابه، ولكنّه ينجز ذلك في دقائق معدودة من خلال الاتّصالات عبر "شبكة التّواصل الاجتماعيّ"، وبعد أن كان في القديم ينتقل بالدّوابّ والحيوانات والوسائل البدائيّة، صار لديه الطّائرة

---

(1) البخاري، كتاب التفسير، باب: سورة النازعات، حديث رقم 4936، 5301.

(2) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث رقم 2951.

(3) نسم: هو من النسيم، أول هبوب الريح الضعيفة.

(4) رواه الدولابي في الكنى، وصححه الألباني في كتابه (صحيح الجامع الصغير) رقم الحديث (2832).

والسّيّارة، كان التّاجر يمضي الشّهور الطّويلة للوصول إلى مدينة بعيدة ليحضر منها ما يريد، ولكنه الآن صار يحقّق ذلك بدقائق قليلة.

وهذا التقارب في الأسواق ورد في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول قال ﷺ: "لا تقوم السّاعة حتّى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق"(1).

الأب: صدق رسول الله ﷺ، فقد كثرت الفتن في أيّامنا هذه، فلا تكاد تجد بلدًا في الكرة الأرضيّة يعمّه السّلام والمحبّة، بل صار جميع النّاس متحفّزين للقتال، لا يطيق الواحد منهم سماع كلمة تعارض أفكاره وآراءه وتخالف ما يعتقد به، وفشا التّملّق والكذب، فلا تكاد تعثر على إنسان صادق، صار الصّدق عُمْلَة نادرة لا يجرؤ على التّعامل بها إلّا القلّة القليلة من النّاس الذين يحاولون التّمسّك بدينهم وأخلاقهم والتّشبّه بالأنبياء والصّالحين، هؤلاء النّاس ارتضوا مواجهة آراء النّاس المخالفين لهم الذين يتّهمونهم بالغباء والغفلة ويسخرون منهم لتمسّكهم بالصّدق والأمانة، وقد حذّرنا سيّدنا محمّد ﷺ من تصديق الكذّابين في الحديث الذي رواه أبو هريرة: "يكون في آخر الزّمان دجّالون كذّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيّاكم وإيّاهم، لا يضلّونكم ولا يفتنونكم"(2).

(وبسبب كثرة كذب النّاس في هذا الزّمان؛ صار الإنسان لا يميّز بين الأخبار، فلا يعرف صحيحها من سقيمها)(3).

الأمّ: نأتي الآن إلى علامة أخرى من علامات يوم القيامة، ألا وهي: قبض العلم وظهور الجهل.

جميل: كيف هذا والعلماء يتكاثرون والنّاس يتعلّمون، والاختراعات كثيرة؟

الأمّ: المقصود بالعلم هنا "العلم الدّينيّ" وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السّلام، فإنّ العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يذهب العلم، وتموت السّنن وتظهر البدع، ويعمّ الجهل.

---

(1) مسند الإمام أحمد 519/2.

(2) رواه مسلم في المقدمة، حديث رقم 7.

(3) الوابل، أشراط الساعة، ص196.

أحمد: ولكنّي أعرف الكثيرين ممّن يتعلّمون في كلّيّات الشّريعة والعلم الدّينيّ، وأعرف أنّهم يتزايدون سنويًّا. فكيف يكون الجهل؟

أبو أحمد: وهل تعتقد أنّ كلّ من يذهب للتّخصّص في العلم الدّينيّ سيصبح عالمًا فقيهًا؟!

كثير منهم يظلّون على جهلهم أو يكادون، ولو افترضنا أنّهم جميعًا نجحوا في دراستهم وأبدَوْا تفهّمًا لكلّ ما يتعلّمون، فهل تعتقد أنّهم سيكونون أمثال من فقدنا من أعلام العلماء الذين أوصلوا لنا ديننا سليمًا، وفسّروا لنا آيات القرآن الكريم بشكل مقنع يدلّ على مدى تمكّن كتاب الله في قلوبهم؟ لا يا بنيّ، لقد خسرنا جهابذة العلماء ولن يستطيع أحد إلّا من أنعم الله عليه وأكرمه الوصول إلى ما وصلوا إليه، فإنّ القلوب قد قست، والعلم الدّينيّ لا يتقنه إلّا ذوو القلوب النّقيّة.

وقد قال رسول الله ﷺ: "**التقوى هاهنا ــ التقوى هاهنا ــ التقوى هاهنا**"[1].

قال الإمام الشّافعيّ رحمه الله:

شــكوت إلى وكيــع ســوء حفظــي ... فأرشــدني إلى تــرك المعاصــي

وأخــبرني بــأنّ العلــم نــور ... ونــور الله لا يهــدى لعاصــي[2]

تابعت الأمّ كلامها: ولو نظرتم إلى حال العلماء اليوم لرأيتم أنّهم قلّة من النّاس، يكلّمون النّاس يجهله أكثرهم ولا يصدّقونهم...

وهذا ما قصده سيّدنا محمّد ﷺ بقوله: "**إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهّالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلّوا**"[3].

ولا يزال العلم يقبض، والجهل يكثر، حتّى لا يعرف النّاس فرائض الإسلام، فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**يدرس[1] الإسلام كما يدرس وشي[2] الثوب، حتى لا**

---

(1) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (2564).

(2) ديوان الإمام الشافعي.

(3) صحيح بخاري، كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، حديث رقم (100).

يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة؟ ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة؛ يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها. فقال له صلة[3]، ما تغني عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثمّ أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة! تنجيهم من النار ثلاثًا[4]"[5].

سامي: ينجو من النّار فقط لقولهم: (لا إله إلا الله)!؟

الأب: هذا من كرم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة "يخرج من النّار من كان في قلبه مثقال ذرّة من إيمان" فعلم أنّه من كان معه الإيمان أقلّ القليل لم يخلد في النّار، وإن كان معه كثير من النّفاق فهو يعذّب في النّار على قدر ما معه من ذلك، ثمّ يخرج من النّار[6].

وقد قال سيّدنا محمّد ﷺ: **"من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في اليوم، مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان، يومه حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك"**[7].

راح الجميع يردّدون هذا الدّعاء ليكتسبوا المزيد من الحسنات.

ثمّ استأنفت الأمّ كلامها عن أشراط السّاعة.

العلامة الثّالثة التي سنتحدّث عنها هي انتشار الزّنا، وهو مصيبة كبرى ابتلي بها النّاس في زماننا هذا، فكثرت دور البغي التي تحرّض النّاس على الزّنا وتزيّنه في أعينهم وتسمّيه بأسماء جميلة في حين

---

(1) يدرس: يمّحى.

(2) وشي: زخرفة، تلوين.

(3) صلة: هو صلة بن زفر العبسي الكوفي، تابعي كبير.

(4) ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، حديث رقم (4049).

(5) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص134.

(6) فتاوى الإمام ابن باز. في قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

(7) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم (3293).

تنفّرهم من الفضيلة والتّمسّك بأهداب الحياء الذي هو من الإيمان، فمن دور الأزياء الخليعة إلى الكازينوهات إلى الأغاني الماجنة المثيرة للرّغبات المرذولة إلى المناداة بالحرّيّة المتحلّلة من قيود الأخلاق... فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

إنّك لا تستطيع السّير على طريق من الطّرق إلّا وتصطدم بصورة أو صور لنساء عاريات ورجال يبرزون مفاتن عضلاتهم التي تكشف عوراتهم نسأل الله العفو والعافية والمغفرة.

ولعلّ من أبرز آثار هذا العمل الشّنيع، الزّنا، ظهور الأمراض المميتة التي لا تجد لها علاجًا والتي لم يكن لها وجود في السّابق إلّا عند الذين فسدت أخلاقهم من قوم لوط وغيرهم ممّن ابتعدوا عن شرع الله، وكثرتها اليوم وانتشارها في كلّ المجتمعات تدلّ على مدى هجران النّاس لشرع الله وابتعادهم عن دينهم وأخلاقهم، فالأخلاق الحميدة لا يربطها ولا يحافظ عليها إلّا الارتباط بالدّين.

ومن الآثار النّاتجة عن هذه الكارثة ظهور علامة أخرى من علامات السّاعة ألا وهي: ظهور الفحش وقطيعة الرّحم وسوء الجوار.

أبو أحمد: وهذه العلامة استشرت الآن في جميع المجتمعات وخصوصًا تلك التي نالت نصيبًا وافرًا من التّمدّن والتّطوّر والتّقدّم في المجال العلميّ والصّناعيّ، فأفراد تلك المجتمعات هم الذين يعتقدون أنّهم إنّما تطوّروا وتقدّموا بسبب ما امتازوا به من عقل وافر وعلم واسع وصناعة متقدّمة، فنسبوا ذلك إلى أنفسهم ونسَوْا المنعم الذي خلقهم ومنحهم كلّ ما ينعمون به، وكأنّهم لا يذكرون أنّ الأقوام التي غضب عليها الله سبحانه وتعالى كانت أقوامًا ذكيّة جدًّا وقويّة ومتطوّرة أكثر منهم، فهل يعتقدون أنّ من بنى الأهرام ــ الشّاهد الأعظم على حضارة القدماء ــ هل يعتقدون أنّ هؤلاء القوم كانوا أغبياء وبدون تفكير، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أغرقهم مع فرعون الطّاغية، فأنزل عليهم عقابه لأنّهم نسبوا أعمالهم لأنفسهم ونسَوْا خالقهم واتّبعوا سبيل الشّيطان الذي يدعو للفساد والإفساد.

قال الله تعالى: **{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ**

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} [الروم: 9 ــ 10].

تابع الأب: فهل نعجب إذًا من تكاثر الزّلازل والهزّات والفيضانات والسّيول والأعاصير التي تحصد الملايين بصورة متوالية في أيامنا هذه، ففي كلّ يوم نسمع بحدوث إحدى هذه الكوارث في منطقة متزامنة مع كارثة أخرى في منطقة ثانية أو أكثر، وقد نسمع بحريق ينسب في مكان ما، يرافقه سيول وأمطار في مكان آخر مجاور، وحروب ومشاغبات في منطقة أخرى قريبة أو بعيدة، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

أمّ أحمد تتابع الحديث عن الفحش المتعاظم التي تسبّبت بالكثير من الخلافات التي استحكمت بين الأهل وأولادهم والأقارب وذوي الأرحام، ولم يعد التّزاور والتّواصل شيء مهمّ، بل كلّ فرد صار يهتمّ بنفسه وأصدقائه يزورهم ويودّهم ويسعى لتقوية علاقته بهم، في حين ترى الشّهور والسّنين تمرّ دون أن يحاول زيارة أمّه أو أخته أو ذوي أرحامه....

أمّا العلامة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، ألا وهي انتشار الرّبا الذي حرّمه الله تعالى في كتابه الكريم تحريمًا صريحًا فقال: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [آل عمران: 130].

لقد انتشر هذا الوباء انتشارًا واسعًا في أيّامنا هذه حتّى صار لا يخلو من التّعامل به بيت ولا شركة، بل إنّ الدّول صارت تقوم عليه من خلال المصارف التي انتشرت انتشارًا واسعًا حتّى هيمنت على كلّ مجالات الحياة في كلّ الأرض المسكونة، حتّى صار المؤمن الذي يتحرّج من الرّبا لا يعرف كيف يتصرّف وكيف يطيّب طعامه وشرابه، أي يجعله حلالًا طيّبًا.

الكارثة في الأمر أنّ تلك المصارف الرّبويّة غيّرت اسم الرّبا عن الأموال الإضافيّة التي تدفعها للمودعين الذين يضعون أموالهم فيها وأطلقوا عليها اسم الفائدة، وذلك سخرية لأفكار النّاس، وبهذا طارت البركة من الأموال والأطعمة والصّحّة والعافية، وصار النّاس يعيشون في عسرة دائمة.

استكملت الأمّ حديثها: علامة أخرى من أشراط السّاعة، ظهرت وانتشرت في أيّامنا هذه وصارت تعقد لها المهرجانات والمسابقات، ألا وهي ظهور المعازف واستحلالها وهي التي حذّرنا منها

رسول الله ﷺ وقال: إنّ انتشارها وتباهي النّاس بها سيتسبّب بظهور علامة أخرى كانت تصيب بني إسرائيل الذين خالفوا تعاليم شرعهم، أعني بها (المسخ والقذف والخسف)، وذلك في الحديث الذي رواه سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **"سيكون في آخر الزمان خسف، وقذف، ومسخ"**. قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: **"إذا ظهرت المعازف والقينات"**[1]. والقينات هي المغنّيات اللواتي نشاهد تكاثرهنّ وتكاثر أغانيهنّ الماجنة التي تركّز على إثارة الغرائز، ونشاهد إكرام النّاس لهنّ ومسارعتهم إلى مدحهنّ والتّودّد إليهنّ في حين يبتعدون عن المؤمنات العفيفات، بل يحاولون إجبار هؤلاء العفيفات التّشبّه بالخليعات، وهذا ما ذكره البخاريّ من حديث سيّدنا محمّد ﷺ: **"ليكونن من أمتي أقوام يستحلّون الحِرّ والحرير والخمر والمعازف، وليزلنّ أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم ــ** يعني الفقير **ــ لحاجة، فيقولوا: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله، ويضع العَلَم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة"**[2].

الأب: ولا تنسَيْ يا أم أحمد أنّ ظهور المغنّيات والمعازف يتلازم تلازمًا ماديًّا مع شرب الخمر، فحيث يوجد الغناء لا بدّ أن يوجد الخمر والبغاء والجرائم الأخلاقيّة، فالخمر هي أمّ الرّذائل وأساس الشّرور، وما يُحزِن ويصيب بالأسى تسارع المسلمين إلى اقتناء هذه الآفة في بيوتهم والتّواصي بها واعتبارها رمزًا من رموز المدنيّة والحضارة، واعتبار من لا يحترمها متأخّرًا وقديمًا، لقد غيّروا اسمها كما غيّروا اسم الرّبا ــ ليتحذلقوا على النّاس ويؤكّدوا لهم أنّها حلال، فهي مشروبات روحيّة ليست خمرًا، الله حرّم الخمر و لم يحرّم المشروبات الرّوحيّة، ويقول آخرون: إنّ القرآن لم يرد فيه تحريم صريح للخمر فلم يقل: "الخمر حرام" ولكن قال: **{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}** [المائدة: 90].

ونسَوْا أنّ النّهي عن الشّيء أعظم وآكد من الأمر به.

ونسَوْا أنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بطاعة رسوله الكريم ﷺ لأنّه **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}** [النجم: 3 ــ 5]. فقال: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**

---

(1) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ، والخسف، حديث رقم (2212).

(2) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، حديث رقم (5590)، رواه أبو عامر ــ أو أبو مالك ــ الأشعري.

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: 7]، ورسول الله بدوره حرّم علينا كلّ المسكرات التي تزيل العقول وتقلّل من احترام النّاس لمن يتعاطى الخمر، فقال: **"ما أسكر كثيره فقليله حرام"**(1)، ولأنّ الإسكار وصف مناسب لتحريم الخمر، ولأنّ التّحريم لدفع مفسدة أو ضرر عن النّاس بصيانة عقولهم وأجسادهم من الأذى والضّرر فقد وقع الحكم على كلّ ما من شأنه فعل ما تفعله الخمر، فقد حرّم الفقهاء تعاطي المخدّرات بجميع أشكالها لهذا عدّ سيّدنا محمّد ﷺ استحلال الخمر من علامات السّاعة فقال: **"إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأةً قيّم واحد"**(2).

الأمّ: وهناك شرط من أشراط السّاعة سوف يدهشكم وتستغربون منه. لقد اعتبر سيّدنا محمّد ﷺ أنّ من علامات السّاعة: زخرفة المساجد والتّباهي بها.

فتح الأولاد عيونهم دهشة ومفاجأة. كيف يكون هذا؟ أإذا اهتممنا بزخرفة مساجدنا وأظهرنا الطّاعة لله تعالى فإن ذلك من أشراط السّاعة؟ هل يجب أن تظلّ المساجد عاطلة من الزّينة؟

لم تتركهم أمّهم لتحيّرهم الدّهشة وتضيّعهم الأفكار، بل سرعان ما قالت: إنّ المساجد كانت لأداء الصّلوات وإظهار التّعبّد لله وطاعته، أي لعمارتها وليس للتّباهي بزخرفتها فماذا نستفيد إذا زخرفنا المساجد ثمّ هجرناها؟ إنّ الأصل في بناء المساجد هو أن تكون بيوتًا لله تستقبل ضيوف الله يملؤونها عبادة وصلاة، فيباهي الله بهم ملائكته.

أحمد: أي أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ من علامات يوم القيامة كثرة بناء المساجد وزخرفتها؟

الأمّ: لا، فنحن مأمورون بالإكثار من بناء المساجد لأنّها بيوت الله فقد قال سبحانه وتعالى: **{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ}** [النور: 36 ــ 37].

---

(1) رواه أبو داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، حديث رقم (3681).

(2) رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعلّم، حديث رقم (81)، ومسلم (2671).

ولكن قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد"**[1].

وقال أيضًا متوعّدًا بالدّمار إذا زخرفت المساجد، وحلّيت المصاحف، فقد روى الحكيم والتّرمذيّ عن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: "إذا زوّقتم مساجدكم، وحلّيتم مصاحفكم، فالدمار عليكم"[2])[3].

سامي: ولكن لماذا هذا التّحذير؟

الأمّ: لأنّ كثرة الزّخرفة وتحلية المصاحف تشغل قلوب المصلّين والقرّاء فيتلهّون بالنّظر إلى بدائعها فينشغلون عن الخشوع والتّدبّر والحضور مع الله تعالى، وقد حرّم بعض الفقهاء تزويق المساجد والكعبة بذهب أو فضّة حرمة مطلقة، وكرهها بعضهم الآخر.

أحمد: هل هذا يعني أنّ التّقرّب إلى الله بما شرع الله لهم من طاعات...

الأب: ابتغاء الحسنات وأعمال الطّاعات لا يكون بإهدار الأموال في ما لا ينفع المسلمين. فماذا يستفيد المسلمون إذا أخذنا الذّهب والفضّة ورصّعنا بها جدران المساجد وأوراق المصاحف. بل بالعكس، فقد يتأذّى فقراء المسلمين من هذه المشاهد لأنّهم لا يجدون ما يأكلون أو يلبسون بينما هم يرون المال أمامهم ملتصقًا بالحجارة لا يستطيعون الاستفادة منه. الأفضل لمن يريد الاستزادة من الحسنات أن ينفق أمواله في منافع النّاس، فيوزّع عليهم الصّدقات مباشرة أو غير مباشرة، وذلك بتوفير أسباب العمل لهم، وفتح المدارس المجانيّة للفقراء، وبناء المستشفيات والمستوصفات الخيريّة، إلى ما هنالك من وجوه الخير الأخرى، ولا تنسَوْا أنّ رسول الله ﷺ قال: **"أحبكم إلى الله أنفعكم لعياله"**[4].

الأمّ: هذا صحيح، فأن تنفع النّاس وتزيل عنهم كرباتهم أفضل وأحبّ إلى الله من الاهتمام بالجمادات وكلّ ما هو دون الإنسان.

---

(1) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، حديث رقم (449).

(2) هذا حديث حسن موقوف له حكم الرفع، أورده الألباني في صحيحه، حديث رقم (1351)، وقال: رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (100/1).

(3) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص147.

(4) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (5541)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء"، 102/2.

ننتقل الآن إلى شرط آخر من أشراط السّاعة التي أكّد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم قرب حدوثها فقال: **{وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}** [الحجر: 85]، **{لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا}** [الكهف: 21]، وقال أيضًا: **{إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى}** [طه: 15] وغيرها الكثير من الآيات القرآنيّة. هذا الشّرط هو عودة أرض العرب لتكون مروجًا وأنهارًا. فقد قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا"**[1].

ننتقل الآن إلى علامة أخرى، هذه العلامة هي حسر الفرات على جبل من ذهب فقد قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلّي أكون أنا الذي أنجو"**[2]. وفي حديث آخر يقول: **"يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا"**[3].

أحمد: هل يقصد بالذّهب البترول. ألا يسمّيه العلماء (الذّهب الأسود).

الأب: لا إنّ الحديث الشّريف ينصّ على (جبل من ذهب)، والبترول ليس ذهبًا على الحقيقة، فالمقصود بالذّهب هو معدن الذّهب حقيقة. ثمّ إنّ البترول يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة، أمّا الذّهب فسينحسر عنه الماء. والنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام أخبر النّاس سيقتتلون عند هذا الكنز، و لم يقتتل أحد عند البترول عند خروجه من الفرات أو غيره. وقد نهى النّبيّ ﷺ أن يأخذ أحد منه شيئًا، في حين نرى النّاس جميعًا يأخذون النّفط ويستعملونه[4].

الأمّ: ومن أشراط السّاعة أيضًا كثرة الرّوم وقتالهم للمسلمين، فقد حدّث أحد الصّحابة الكرام واسمه "المستورِد القرشيّ" حديثًا عن رسول الله ﷺ قال: **"تقوم الساعة والروم أكثر الناس"** فسمعه عمرو بن العاص، فحذّره قائلًا: أبصر ما تقول قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال:

---

(1) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (157).

(2) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، حديث رقم (2894).

(3) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، حديث رقم (7119).

(4) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص205 بتصرف.

لئن قلت ذلك، إنّ فيهم خصالًا أربعًا. إنّهم لأحلم النّاس عند الفتنة، وأسرعهم إقامة بعد مصيبة، وأوشكهم كرّة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة؛ وأمنعهم من ظلم الملوك"[1].

هنا توقّفت الأمّ عن الكلام وقالت: لا زال لدينا الكثير من علامات السّاعة الصّغرى والكبرى نتوقّف هنا ونكمل غدًا بإذن الله تعالى.

هلّلوا وكبّروا وسبّحوا الله عزَّ وجلَّ مع الدّعاء أن يصرف عنهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفي اليوم التّالي وبناءً على الوعد اجتمعت الأسرة لإكمال الحديث عن علامات السّاعة، وجلسوا منصتين ليتعلّموا ما ينفعهم.

الأمّ: روى مسلم[2] حديثًا في باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قَدَر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدّليل على التّسرّي ممّن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقّه، عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: **"سلوني"** فهابوه أن يسألوه. فجاء رَجُلٌ فجلس عند ركبتيه، فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: لا تشرك بالله شيئًا، وتقيم الصّلاة، وتؤتي الزكّاة، وتصوم رمضان"، قال: صدقت. قال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: **"أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كلّه"** قال: صدقت، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: **"أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك"**. قال: صدقت.

قال: يا رسول الله متى تقوم السّاعة؟ قال: **"ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأحدثك عن أشراطها، إذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها، في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله"** ثم قرأ: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [لقمان: 34]، قال: ثمّ قام الرّجل فقال

---

(1) رواه مسلم، كتاب الفتن واشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، حديث رقم (2898).

(2) حديث رقم (7).

رسول الله ﷺ: "**رُدُّوه عَلَيَّ**" فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: "**هذا جبريل أراد أن تَعَلَّمُوا إذْ لَمْ تسألوا**".

فمن علامات السّاعة: التّطاول في البنيان، ولادة الأمة لربّتها: أي أن تلد الأمة حرًّا؛ لأنّه ولد سيّدها، وهذا حدث منذ زمن بعيد، عندما فتح المسلمون بلاد الشّرك وسبوا الجواري.

وأيضًا من علامات السّاعة الصّغرى: كثرة القتل، ظهور الشّرك في هذه الأمّة، وتشبُّب المشيخة، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يكون قومٌ يخضبون في آخر الزمان بالسواد، كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة**"[1].

ومن علامات السّاعة التي حدثت أيضًا كثرة الشّحّ، وكثرة التّجارة، وكثرة الزّلازل، التي كانت سببًا في الحديث عن أشراط السّاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض**"[2].

ومن علامات السّاعة التي حدثت وانتهت أيضًا ذهاب الصّالحين، وارتفاع الأسافل، فمنها ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال رسول الله ﷺ: "**إنها ستأتي على الناس سنون خدّاعة؛ يُصَدَّق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق الرويبضة**". قيل: وما الرّويبضة[3]؟ قال: "السّفيه يتكلّم في أمر العامَّة"[4].

وهناك أحاديث كثيرة لا نستطيع سردها هنا كلّها وإلّا لن ننتهي من الانتهاء من القصد في رواية هذه الأحاديث إلّا أن نصل إلى نزول عيسى عليه السّلام آخر الزمان[5].

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند (156/4).

(2) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، حديث رقم (1036).

(3) الرويبضة: تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، والتافه الخسيس الحقير.

(4) سنن الإمام أحمد، وقال: إسناده حسن، ومتنه صحيح 291/2، رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب شدّة الزمان، حديث رقم (4036).

(5) انظر: كتاب أشراط الساعة، ليوسف الوابل، وهي رسالة ماجستير، للاطلاع على الأحاديث الثابتة في أشراط الساعة الصغرى التي حدثت وانتهت. وانظر: كتاب عقيدة التوحيد، لابن حجر العسقلاني، جمع أحمد عصام الكاتب، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط1، 1403هـ/ 1983م، وغيرها من كتب الأصول.

المهمّ هو الأحاديث التي تخبرنا مباشرة قبل نزول عيسى عليه السّلام إلى الأرض.

سامي: وما هي أوّل علامة منها؟

الأمّ: في الواقع هناك عدّة علامات ستكون متزامنة أي إنّها تأتي في زمن واحد، وليس مؤكّدًا أي منها يكون الأوّل، وهي حرب الرّوم، خروج المهديّ، نزول سيّدنا عيسى عليه السّلام، وظهور الأعور الدّجّال.

تتابع السّرد وتقول هناك أحاديث مهمّة قبل خروج المهديّ، ونزول عيسى عليه السّلام، وخروج الأعور الدّجّال، ألا وهي هدنة مع الرّوم... والأهمّ من ذلك فتن كقطع الليل المظلم، فإنّنا لوعدنا إلى كتب الحديث التّسعة (بخاريّ ــ مسلم ــ التّرمذيّ ــ أبو داود ــ ابن ماجه ــ النّسائيّ ــ مسند أحمد ــ المستدرك على الصّحيحين ــ موطّأ مالك) في كتاب الفتن أو باب الفتن، لنجد العجب العجاب وهي أحاديث صحيحة حدثت وتولّت و لم يبقَ لنا سوى قتال الرّوم وانحسار الفرات وووو...

الأب: لنبدأ بترتيبها:

1 ــ "ستصالحون الرّوم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم، فتنصرون وتغنمون، وتسلمون، وترجعون حتّى تنزلوا بمرج ذي تُلول، فيرفع رجل من أهل النّصرانيّة الصّليب فيقول: غَلَبَ الصّليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدُقّهُ، فعند ذلك تغدر الرّوم وتجمع للملحمة". رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الرّوم"[1].

وفي حديث رواه مسلم وقد ذكرناه سابقًا، فقط نذكره هنا، لتسلسل الأحداث التي تسبق خروج الأعور الدّجّال، "تقوم السّاعة والرّوم أكثر النّاس". قال: فبلغ ذلك عمرو بن العاص فقال: ما هذه الأحاديث التي تُذكرُ عنك أنّك تقولها، عن رسول الله ﷺ، فقال له المستورد: قلت الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: فقال عمرٌو: لئن قلت ذلك، إنّهم لأحلم النّاس عند فتنة، وأجبر النّاس عند مصيبة، وخير النّاس لمساكينهم وضعفائهم"[2].

---

(1) حديث رقم (4292)، أبو داود في كتاب الملاحم.

(2) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، حديث (36)... وحديث آخر برقم (35 ــ 2898).

وحديث لبخاريّ: تحالف الرّوم والمسلمون يكون أثناء هدنة بينهما، كما ورد في حديث: "اعدد ستًّا بين يديّ السّاعة: موتي، ثمّ فتح بيت المقدس، ثمّ موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثمّ استفاضة المال حتّى يعطي الرّجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثمّ فتنة لا يبقى بيتٌ من العرب إلّا دخلته، ثمّ هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفًا"[1].

وروى الإمام مسلم في صحيحه أنّه: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجلٌ ليسَ له هجيري إلّا: يا عبدالله بن مسعود، جاءت السّاعة، قال: فقعد وكان متّكئًا، فقال: إنّ السّاعة لا تقوم، حتّى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثمّ قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشام)، فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام[2]... ولهذا الحديث تتمّة سنذكره في مكانه، وحديث تكون ملحمة الرّوم والمسلمين ملحمة كبرى، وقد ذكر مكانها في حديث أبي الدّرداء رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: "**قسطاس المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها: الغوطة، فيها مدينة يقال لها: دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ**"[3].

أمّا حديث[4]: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل وليترعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: "**حُبُّ الدُّنيا وكراهية الموت**".

أمّا حديث الملحمة الكبرى، ففي حديث رواه مسلم وهو تكملة للحديث السّابق قال: "هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس لَهُ هجِّيري إلا: يا عبدالله بن مسعود! جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متّكئًا، فقال: إن السّاعة لا تقوم، حتّى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ثمَّ قال بيده هكذا ـــ ونحاها نحو الشّأم ـــ فقال: عدوّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت:

---

(1) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، حديث رقم (3176).

(2) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، حديث رقم (2899).

(3) الجامع الصحيح، حديث رقم (4205)، رواه أبي داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، حديث رقم (4298).

(4) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على أهل الإسلام، حديث رقم (4297).

الرّوم تعني؟ قال: نعم. وتكون عند ذاكُمُ القِتَالِ ردّةٌ شَديدَةٌ، فيشترِطُ المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلّا غالبة، فيقتتلون حَتّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فيفيءُ هَؤُلاءِ وهؤلاء، كلّ غير غالب، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثمَّ يَشْترِطُ المسلمون شُرْطَةً للموت، لا ترجعُ إلا غالبةً، فيقْتَتِلُونَ، حتى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فيفيءُ هَؤُلاءِ وهَؤُلاءِ، كلٌّ غَيْرُ غالب، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسلِمُون شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لا تَرْجعُ إلا غالبة، فَيَقْتَتِلُونَ حَتّى يُمْسُوا، فيفيءُ هَؤُلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غَالب، وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإذا كَانَ يَوْمُ الرَّابع، نَهَدَ إليهم بَقِيَّةُ أَهْلِ الإسلام، فيجعل الله الدُّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً، إمَّا قال: لا يرى مِثْلُهَا، وإمّا قال: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتّى إنّ الطائر لَيَمُرُّ بَنُو الأَب، كانوا مِئَةً، فلا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إلا الرَّجُلُ الوَاحِدُ، فبأيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أوْ أيُّ ميراثٍ يقاسمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كذلك إذْ سَمِعُوا ببأْسٍ، هو أَكْبَرُ من ذلك. فجاءهم الصّريخُ، إنّ الدّجّال قد خَلَفَهُمْ في ذَرَارِيِّهِمْ، فيرفُضُونَ ما في أيديهم ويُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قال رسول الله ﷺ: **"إنِّي لأعرف أسْمَاءَهُمْ، وأسْمَاءَ آبائِهِمْ، وأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأرضِ يَوْمَئِذ، أو من خَيْرِ فوارس على ظهرالأرض يومئذ"**[1].

وهذا القتال يقع في الغوطة في الشّام في آخر الزّمان، قبل ظهور الدّجّال، كما دلّت على ذلك الأحاديث، ويكون انتصار المسلمين على الرّوم تهيئة لفتح القسطنطينيّة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق[2] أو بدابق[3]، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا، قالت الروم: خلو بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام،**

---

(1) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، حديث رقم (2899).

(2) (الأعماق): قال ياقوت الحموي: "هي كورة قرب دابق، بين حلب وأنطاكية، وهما في الشام.

(3) (دابق): بكسر الباء وروي بفتحها وآخره قاف: قرية قرب حلب، من عمال عزار بينها وبين حلب أربعة فراسخ "معجم البلدان" (416/2).

خرج فبينما هم يعدون للقتال، يسوُّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام"[1].

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "**إن فسطاط**[2] **المسلمين يوم الملحمة في أرض بالغوطة**[3]**، وفي مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام**"[4].

تقول أمّ أحمد: هل نتوقّف هنا أم أكمل السّرد ونتوقّف حين خروج الدّجّال...

الأولاد: لا أكملي...

أحمد: بعدما تشوّقنا لمعرفة الأحداث تريدين التّوقّف هنا، وأظنّ لا زال هناك أحاديث كثيرة لم تذكريها فقد قرأت صباحًا عن أشراط السّاعة!!

أمّ أحمد: نعم بنيّ، فعلًا لو تتبّعنا فقط كتاب الفتن أهل الحديث في الكتب التّسعة، لأخذنا عامًا كاملًا للتّحدّث بما ورد عن الفتن والملاحم والدّجّال وعلامات السّاعة، ففي كتاب الفتن للبخاريّ 28 بابًا يتحدّث في نهايتها عن يأجوج ومأجوج، وفي صحيح مسلم في كتاب ـــ... تفتح الكتب فقد أحضرتها معها لتستعين في سرد الأحاديث.

الفتن وأشراط السّاعة أيضًا 28 بابًا، وآخر باب، باب ما بين النّفختين وفي سنن التّرمذيّ، ففي كتاب الفتن 75 بابًا يتحدّث عن جميع الفتن وهو مهمّ جدًّا لو تتبّعنا أحاديث الفتن لديه، أدعو الله عزَّ وجلَّ أن ييسّر لك بنيّ قراءة هذه الكتب حتّى يكون لديك علم بفقه أشراط السّاعة.

الجميع: آمين يا ربّ العالمين.

تكمل أمّ أحمد السّرد وتقول، وفي سنن أبي داوود، فقد كتب في كتاب الفتن وكتاب المهديّ وكتاب الملاحم ما حدث عن الفتن والملاحم وأشراط السّاعة حتّى باب قيام السّاعة.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السّلام، حديث رقم (2897).

(2) قسطاط: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط.

(3) الغوطة: هي موضع بالشام تحيط بها جبال عالية وبها أنهار وأشجار متصلة، وفيها تقع مدينة دمشق.

(4) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، حديث رقم (4298).

وفي سنن ابن ماجه، ففي كتاب الفتن تحدّث في 36 بابًا آخرها باب خروج المهديّ وباب الملاحم، وباب التُّرك.

أمّا في سنن النَّسائيّ ففي كتاب الاستعاذة فقط ذكر ممّ نستعيذ منها الفتن والدّجّال وفتنة المحيا والممات وفتنة القبر وغيرها من الفتن...

هل نكمل الآن باقي أشراط السّاعة[1]، فتح القسطنطينيّة[2]: ومنها فتح مدينة القسطنطينيّة ــ قبل خروج الدّجّال ــ على يدي المسلمين، والذي تدلّ عليه الأحاديث أنّ هذا الفتح يكون بعد قتال الرّوم في الملحمة الكبرى، وانتصار المسلمين عليهم، فعندئذ يتوجَّهون إلى مدينة القسطنطينيّة، فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال، وسلاحهم التّكبير والتّهليل.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانبٌ منها في البحر؟"** قالوا: نعم يا رسول الله. قال: **"لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها ــ قال ثور (أحد رواة الحديث): لا أعلمه إلا قال: ــ الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدّجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون"**[3].

أما "يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق" ذهب الحافظ ابن كثير إلى أنّ هذا الحديث "يدلُّ على أنّ الرّوم يسلمون في آخر الزّمان، ولعلّ فتح القسطنطينيّة يكون على أيدي طائفة منهم؛ كما نطق به الحديث المتقدّم؛ أنّه يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق".

---

(1) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص214.

(2) القسطنطينية: مدينة الروم، وهي معروفة حاليًا بـ (إسطنبول) من مدن تركيا، وكانت تعرف قديمًا (بيزنطة)، ثمّ لما ملك قسطنطين الأكبر ملك الروم بنى عليها سورًا وسماها قسطنطينية، وجعلها عاصمة ملكه، ولها خليج من جهة البحر... (انظر: "معجم البلدان" (347/4 ــ 348) لياقوت الحموي.

(3) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخصلة، حديث رقم (2920).

واستشهد على ذلك بأنّهم مدحوا في حديث المستورد القرشيّ، فقد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"تقوم الساعة والروم أكثر الناس"** ـــ وقد ذكرنا هذا الحديث سابقًا[1] ـــ.

وهناك من علامات السّاعة، خروج القحطانيّ:

في آخر الزّمان يخرج رجل من قحطان، تدين له النّاس بالطّاعة، وتجتمع عليه، وذلك عند تغيّر الزّمان، ولهذا ذكره البخاريّ في باب تغيّر الزّمان.

روى أحمد والشّيخان ـــ البخاريّ ومسلم ـــ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه"**[2].

ومن أشراط السّاعة خروج المهديّ في آخر الزّمان، يخرج رجلٌ من أهل البيت يؤيّد الله به الدّين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمّة في عهده نعمة لم تنعمها قطّ، تُخْرِج الأرض نباتها، وتمطر السّماء قطرها، ويعطى المال بغير عدد[3].

قال ابن كثير رحمه الله: "في زمانه تكون الثّمار كثيرة، والزُّروع غزيرة، والمال وافر، والسّلطان القاهر، والدِّين قائم، والعدوّ راغم، والخير في أيّامه دائم"[4].

قال ابن كثير رحمه الله في المهديّ: "هو محمّد بن عبد الله العلويّ الفاطميّ الحسنيّ رضي الله عنه"[5].

هناك 18 حديثًا صحيحًا في خروجه في آخر الزّمان سنذكر بعضًا منها:

- عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "المهديُّ مِنّي، أجلى الجَبْهةِ، أقنى الأنف، يملأ الأرض قِسْطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويملك سبع سنين"[6].

---

(1) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص215 ـــ 216 بتصرف.

(2) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص249.

(3) ابن كثير (المتوفى 774)، النهاية في الفتن والملاحم، بيروت، الجزء الأول، ص23. وحبذا يطلع المربي على هذا الكتاب لمعرفة علامات الساعة الصغرى والكبرى، وأهوال يوم القيامة. (مهم الإطلاع على هذا الكتاب).

(4) المرجع السابق، الجزء الأول، ص24.

(5) المرجع السابق، الجزء الأول، 24.

(6) رواه أبو داود، أول كتاب المهدي، باب الملاحم، حديث رقم 4285.

- وعنه رضي الله عنه قال: خشينا أن يكون بعد نبيّنا حدث، فسألنا نبيّ الله ﷺ فقال: **"إنّ من أمّتي المهديّ يخرج، يعيش خمسًا، أو سبعًا، أو تسعًا** ــ زيد الشّاك ــ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: **سنين، قال: فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهديّ أعطني، أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله"**[1].
- عن عليّ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **"المهديُّ منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة"**[2].
- وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **"يخرج في آخر أمّتي المهديّ، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمّة ويعيش سبعًا أو ثمانية"**[3].
- وعن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"المهديُّ من عترتي، من ولد فاطمة رضي الله عنها"**[4].
- قال الحافظ ابن القيّم الجوزيّة[5]، رحمه الله تعالى: (وقال الحارث ابن أبي أسامة في مسنده: حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم: حدثنا إبراهيم بن عقيل عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهديّ: تعال، صلّ بنا، فيقول: لا، إنّ بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة"**[6].

وعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: "عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله"، فقال: **"العجب إنّ ناسًا من أمتي يؤُمّون بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم"**، فقلنا: "يا رسول الله، إن الطريق قد

---

(1) رواه الترمذي، في الفتن، باب ما جاء في المهدي، حديث رقم (2233)، قال: هذا حديث حسن.

(2) أخرجه ابن ماجه، باب خروج المهدي، رقم الحديث 4085.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (557/4، 558)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجه ووافقه الذهبي.

(4) رواه أبو داود، في كتاب المهدي، (4284)، ضعيف له شواهد يرتقي به إلى الحسن لغيره.

(5) ابن القيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، 129 ــ 130. حسن.

(6) أخرجه أبو نعيم في "أخبار المهدي"، ذكره السيوطي في "العرف الوردي"، السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين، العرف الوردي في أخبار المهدي، تحقيق أبي يعلى البيضاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م، رقم (65 ــ 66).

يجمع النّاس"، قال: "**نعم، فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتَّى، يبعثهم الله على نيّاتهم**"[1].

وعن عبيد الله بن القبطيّة قال: "دخل ابن أبي ربيعة، وعبدالله بن صفوان، وأنا معهما، على أم سلمة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فسألاها عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام الزبير فقالت: قال رسول الله ﷺ: "**يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعثٌ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسِفَ بهم**"، فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟

قال: "يخسفُ به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته"[2].

ذهب ابن حجر الهيثمي إلى أنّ "ذلك العائذ هو المهدي، وأن تلك البيداء الخليفة"[3]، والحق أنّه لا يمكن الجزم بذلك نفيًا ولا إثباتًا، لعدم الدليل الصريح، والعلم عند الله.

تقول أمّ أحمد: لست بصدد إثبات خروج المهديّ بل أنا أتابع الأحداث التي ستكون في آخر الزّمان وهي من أشراط السّاعة، خاصّة خروج أعور الدّجّال ومكثه أربعين يومًا قبل نزول عيسى عليه السّلام.

أبو أحمد: نتوقف هنا، ونكمل غدًا فالحديث عن أعور الدّجّال حديث يطول...

هلّلوا وكبّروا وسبّحوا الله عزَّ وجلَّ مع الدّعاء بأن يحفظهم الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن...

وفي اليوم التّالي كالمعتاد وبناءً على وعد والدتهم الحديث عن أعور الدّجّال في المساء... أنهت الأسرة عملها المعتاد واستعدّت هذا اليوم في غرفة الجلوس لارتفاع درجات الحرارة وازدياد الرّطوبة...

---

(1) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، حديث رقم (2118)، ورواه مسلم في كتاب الفتن، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث رقم 2210.

(2) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث رقم (2882)، والترمذي في كتاب الفتن، وقال: حديث غريب من هذا الوجه، حديث رقم (1272).

(3) أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، المتوفى 974هـ، الزواجر عن اقتراف الكبائر، بيروت، دار المعرفة، لا.ط، 1408هـ/ 1998م، الأول، (204/1). حيث يقول: "وبينت في كتابي الدرر في علامات المهدي المنتظر" مبينًا بأحاديث البخاري ومسلم خروج جيش لقتل المهدي ويخسف به في البيداء.

سامي: سنتحدّث اليوم عن الأعور الدّجّال... من حين سماع قصّة نوح عليه السّلام ونحن ننتظر بفارغ الصّبر...

جميل: نعم، سبحان الله استغرق الوقت ليأتي الدّور للتّحدّث عن خروج أعور الدّجّال في آخر الزّمان...

الأمّ: هو أعظم مصاب يظهر على وجه الأرض، سيكون ظهوره أعظم فتنة ومصيبة يصاب بها المسلمون، كما أخبرنا سيّدنا محمّد ﷺ: **"ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال"**[1].

أمّ أحمد تتابع الحديث وتقول: سمّي بالمسيح الدّجّال!! فالمسيح عيسى ابن مريم عليه السّلام: الصّدّيق، والمسيح الدَّجَّال: الضِّلّيل الكذّاب.

فخلق الله المسيحيّين، أحدهما ضدّ الآخر: فعيسى عليه السّلام مسيح الهدى؛ يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله.

والدَّجَّال لعنه الله مسيح الضّلالة، يفتن النّاس بما يُعطاه من الآيات؛ كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنّبات، وغيرهما من الخوارق.

وسُمّي الدّجّال مسيحًا، لأنّ إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنّه يمسح الأرض في أربعين يومًا[2].

ولست بصدد التّفصيل عن أعور الدّجّال فقط سأسرد بعض الأحاديث التي وردت في ظهور الدّجّال في آخر الزّمان، حيث سيعيش الكافرون واليهود أفضل أيّامهم.

ــ أحمد: الكافرون سيعيشون أفضل أيّامهم، هذا طبيعيّ، فما بال اليهود؟

ــ الأب: اليهود سيكونون أوّل من يتبعه، فهم في مقدّمة جنوده كما قال رسول الله ﷺ: **"يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة[3]"**[4].

ــ سامي: وكم ستدوم هذه المحنة؟

---

(1) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص275.

(2) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص275.

(3) الطيالسة: جمع طيلسان، وهو ثوب أخضر يلبسه الخواص من الناس.

(4) رواه الصحابي أنس بن مالك، وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث رقم (2944).

ـــ الأمّ: روى الصّحابيّ الكريم عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"يخرج الدجّال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري، أربعين يومًا، أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم ﷺ، فيطلبه فيهلكه..."**[1].

سامي: أربعين[2] عامًا!! لن يبقى مؤمنون إذًا.

ـــ الأب: ولكن هناك حديث آخر يؤكّد أنّها أربعون يومًا.

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وجاء فيه: "وأنّه سيمكث في الأرض أربعين صباحًا يبلغ فيها كلّ منهل، ولا يقرب أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطّور، ومسجد الأقصى[3]"[4].

سامي: أربعون صباحًا!؟ هذا سهل، تمرّ بسرعة ونرتاح.

الأب: ليس الأمر كما تظنّ. ففي أيّام الفتن والحروب، يُحْسَب الوقت بالدّقيقة والثّانية، وليس بالسّاعة ولا اليوم، فهذه الأيّام الأربعون، متميّزة عن غيرها بطولها؛ فقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: **"يخرج الدجّال في خفقة من الدين وإدبار من العلم، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه"**. هذا يعني أنّ تلك الأيّام ستكون ثقيلة الوطأة على المسلمين.

ـــ الأمّ: هذه الفتنة ستكون خصّيصًا ليميّز الله تعالى المسلمين المؤمنين من المنافقين، فلا يعود على الأرض إلّا مؤمن وكافر لأنّ المنافقين سيُفْتَضَحُ أمرُهم وسيكتشف الجميعُ حقيقتهم، ولن يعودوا مضطّرّين للتّظاهر بالإيمان.

جميل: هل معنى هذا أنّ اليهود سينتصرون على المسلمين؟

---

(1) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس، وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، حديث رقم (2940).

(2) على سبيل الحكاية.

(3) جاء ذكر المساجد هكذا على الإضافة فيها دون الوصف.

(4) صحيح الجامع (5306).

الأمّ: لا، على الإطلاق. فقد بشّرنا رسول الله ﷺ بانتصارنا عليهم في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديّ من وراء الحَجَر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدَ الله هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود"[1]

جميل: الحجر والشّجر منه المؤمن والكافر أيضًا، ويدافعون عن المسلمين!؟

الأب: طبعًا، ألا تعرف؟ ألا تقرأ سورة الفاتحة؟ أليست الآية الأولى فيها: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**. فما معنى **{الْعَالَمِينَ}**؟

جميل: الإنس والجنّ.

الأب: والحجر والشّجر والحيوانات وجميع المخلوقات، لقد ذكر الله ذلك أيضًا في كثير من سور القرآن الكريم ولا سيّما في سورة الإسراء **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}** [الإسراء: 44].

جميل: عجبًا، كيف يجتمع اليهود على الأعور الدّجّال، وهم لم يجتمعوا قطّ على نبيٍّ من أنبياء الله ولا أوليائه الصّالحين؟!

الأب: ذلك لسببين مهمَّين: **أوّلهما**: أنّ دينهم يبشّرهم بظهور المسيح بعد موسى عليه السّلام، وهم لا يؤمنون أنّ عيسى ابن مريم هو المسيح الموعود، وهم ما يزالون ينتظرون ظهوره حتّى الآن. **وثانيهما**: وهو الأهم بالنّسبة لليهود وطبيعتهم المادّيّة التي تعشق المال والذّهب؛ فالأعور الدّجّال يمتلك أموالًا كثيرة بل إنّ كنوز الأرض تتبعه كالنّحل كما قال سيّدنا محمّد في الحديث الطّويل الذي رواه عنه الصّحابيّ النوّاس بن سمعان رضي الله عنه، قال: "...ويمرّ بالخَرِبة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب[2] النحل..."[3].

---

(1) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: قتال اليهود، حديث رقم (2926)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم (2922).

(2) يعاسيب: جمع يعسوب وهو ذكر النحلة.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (2937).

جميل: كان الله في عون المؤمنين يومذاك! ولكن هل سيكون موقفهم هو موقف المتفرّج ــ يكتفون بمعصيته، ألن يواجهه أحد؟ هل ستمتلئ قلوبهم كلّهم جبنًا؟

الأمّ: لا، فالدّنيا لا تخلو من الشّجعان الذين يواجهون أعداء الحقّ ويفنّدون[1] أعمالهم وأقوالهم، سوف يجمع المؤمنون شجاعتهم لاعتقادهم الرّاسخ بأنّهم إذا قتلوا فسيكونون شهداء الحق؛ ينالون رضى الله، ويسكنهم فسيح جنانه، ثمّ إنّهم يعلمون أنّهم مقتولون لا محالة.

ولكنّهم قبل ذلك الموقف وتلك الشّجاعة المستدركة سيهربون من طريقه ويخافون من المواجهة، سيفعلون كل ما بوسعهم للابتعاد عن طريقه. فقد روت الصّحابيّة الجليلة أمّ شَرِيك رضي الله عنها أنّها سمعتِ النّبيّ ﷺ يقول: **"لَيَنفرَنَّ الناس من الدّجّال في الجبال"**[2].

سامي: ومن هو الشّجاع أو الشّجعان الذين سيعترضون عليه ويواجهونه؟

الأمّ: خير ما أجيبكم به كلام سيّدنا محمّد ﷺ: **"يخرج الدجّال قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين فيتلقّاه المسالح[3]: مسالح الدّجّال، فيقولون له: إلى أين تعمِد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أوَ ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء؟ فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه، فينطلقون به إلى الدّجّال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس إن هذا الدجّالُ الذي ذكر رسول الله ﷺ، فيأمر الدجّال به فيشبَّح، فيقول: خذوه وشجّوه، فيوسَعُ ظهره وبطنه ضربًا، فيقول: أو ما تؤمن بي؟ فيَقول: أنت المسيح الكذّاب! فيؤمر به، فيؤشر[4] بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، ثم يمشي الدجّال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائمًا، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلاّ بصيرة. ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناس، فيأخذه الدجّال ليذبحه، فيجعل الله ما بين رقبته إلى**

---

(1) يفندون: يبطلون، يبيّنون الخطأ.

(2) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، من حديث أم شريك، حديث رقم (2945).

(3) المسالح: الخفراء والطلائع.

(4) يؤشر: يُنشر.

ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلًا، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنّة"، فقال رسول الله ﷺ: **"هذا أعظم الناس شهادة عند ربّ العالمين"**[1].

كان الأب يستمع إلى الحديث الشّريف وهو يراقب وجوه أولاده ليرى أثر الكلام عليهم، فوجد سامي وقد اصفرّ وجهه، وظهرت عليه علامات الخوف.

ابتسم الأب حنانًا وسأل سامي: ما بك يا حبيبي؟ لماذا تغيّر لونك؟

سامي: كيف لا، والفتنة ستكون عظيمة، لقد أيّد الله تعالى ذلك الدّجّال بكلّ مقوّمات النّصر والسّيطرة، والمسلمون اليوم تهاونوا في أمر دينهم، وَلم يعد عندهم صحابة ولا تابعون ليقوّموهم، وليس لديهم أسلحة قويّة لمجابهة أعدائهم، فكيف نحمي أنفسنا لننجو بأرواحنا وديننا؟

الأب (مبتسمًا): معك حقّ بالخوف، ولكن إذا حافظت على دينك منذ اليوم، والتزمت بالفرائض التي فرضها الله علينا واعتقدت جازمًا أنْ لا إله إلا الله، واعتقدت مؤمنًا أنّ رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأنّ كلامه ما هو إلّا وحيٌ يجريه الله على لسان نبيّه، فسوف تنجو ولن يستطيع أحدٌ خداعك أو تغيير معتقداتك.

سامي: أحاول دومًا تنفيذ أوامر الله، ولكنّ الخوف يتملّكني. فقد لا أستطيع مجابهة الدّجّال إذا ظهر في حياتي.

الأب: إذا واظبت على قراءة سورة الكهف فإنّها تعصمك من الدّجّال، ألم نذكر ذلك مرارًا وتكرارًا!!!

سامي: نعم.

الأب: وهذه نصيحة سيّدنا محمّد ﷺ لنا. لقد قال: **"فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف"**[2]، وروى أبو الدّرداء رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال؟"**، وقال صحابي آخر اسمه شعبة "من آخر الكهف".

سامي: ولماذا هذه السّورة بالذّات؟

---

(1) أخرجه مسلم، رواه أبو سعيد الخدري، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ناب في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، حديث رقم (2938).

(2) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، من حديث النواس بن سمعان، حديث رقم (2937).

الأمّ: لأنّ الله تعالى أخبر في طليعة هذه السّورة أنّ الله أمَّن أولئك الفتية من الذين كفروا، فناسب أنّ من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم أن ينجيه كما أنجاهم[1].

وهذه الآيات هي...

أحمد: أنا أحفظها **{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا}** [الكهف: 9 ــ 11].

الأب: هذا معناه أنّ الفتية الشّباب الخائفين عندما لجؤوا إلى الكهف فرارًا بدينهم، دعَوْا ربَّهم أن ينعم عليهم برحمة خاصّة بهم من عنده، ويهديهم سواء السّبيل، عند ذاك أنامَهُم نومًا عميقًا لا يشعرون فيه بالأصوات سنين كثيرة العدد.

الأولاد: سبحان الله العظيم.

تابعت الأمّ إجابتها: ولأنّ "في أوّلها من العجائب والآيات التي تثبّت قلب من يقرأها بحيث لا يفتن بالدّجّال، ولا يستغرب ما جاء به الدّجّال، ولم يلهه ذلك، ولم يؤثّر فيه"[2]، فقد كان الفتية هاربين من ظلم الملك، لقد عبدوا الله وحده بالرّغم من حالة الشّرك التي كان عليها أبناء قومهم، هذه الحالة التي لم يستطع هؤلاء فيها تقديم الدّليل والبرهان على قوّة معبوديهم واستحقاقهم للعبادة **{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا}** [الكهف: 14 ــ 16].

ثمّ إنّ هذه السّورة فيها من الآيات التي تذكر أنّ العبادة لا تجوز إلّا لله الواحد الأحد، ما يبلغ الأربعة عشر آية:

جميل: هذه فرصة مؤاتية للمؤمنين ليظهروا قوّتهم بدحض مزاعمِ هذا الدّجّال.

---

(1) الأشقر، عمر سليمان، اليوم الآخر: القيامة الصغرى، عمان، دار النفائس، ط6، 1415هـ/ 1995م، ص247 بتصرّف.

(2) الأشقر، عمر سليمان، القيامة الصغرى، ص247.

الأمّ: لقد نهانا سيّدُنا محمّد ﷺ عن مواجهة هذا الكذّاب، مهما كنّا واثقين من قدرتنا على تفنيد أقواله وأفعاله لئلّا ينتصر علينا، فقال: "**من سمع بالدجّال فلْينأ**[1] **عنه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه، مما يبعث به من الشّبهات**"[2]. والأفضل لنا آنئذٍ أن نترك المكان الذي يوجد فيه وهو السّاحل، ونتوجّه إلى الجبال كما نصحنا سيّدنا محمّد ﷺ: "**ليفرَّنّ الناس من الدجّال في الجبال**"[3].

سامي: وما يفعل من لا يستطيع الحياة في الجبال؟ هل يبقى مكانه ويصبر على ما يصيبه؟

الأمّ: إذا كان المرء قادرًا على هذا الصّبر، فلِمَ لا يبقى؟ ولكن هذه المصيبة قد تطول، فهل سيبقى صابرًا؟ هذا شيء صعبٌ جدًّا ومرهق. فالأفضل أن يمتثل لنصيحة رسول الله ﷺ ويذهب مرتحلًا إلى أحد هذه الأمكنة: (المسجد الحرام في مكّة، والمسجد النّبويّ في المدينة المنوّرة، والمسجد الأقصى في فلسطين).

جميل: ولماذا هذه الأمكنة بالذّات؟

الأمّ: لأنّ الله تعالى حمى مكّة والمدينة من الدّجّال، فلا يستطيع دخولهما. فقد قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل المدينة رعب المسيح، لها يومئذٍ سبعة أبواب على كل باب ملكان"[4].وقال أيضًا: "...وإنّه لا يبقى شيء من الأرض إلّا وطئه وظهر عليه، إلّا مكّة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلّا لقيته الملائكة بالسّيوف..."[5].

جميل: والمسجد الأقصى؟

---

(1) فلينأ: فليبتعد.

(2) جامع الأصول (7846).

(3) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث رقم (2945).

(4) رواه البخاري، كتاب أبواب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، عن الصحابي أبي بكرة رضي الله عنه، حديث رقم (1879).

(5) صحيح الجامع الصغير (7752).

الأمّ: هناك حديث نبويّ يتكلّم عن أهمّيّة هذا المسجد، وهو "**لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**"[1].

سامي: هذا معناه أنّ الله تعالى حمى هذا المسجد من الدّجّال فلا يستطيع الوصول إليه؟

الأمّ: في الحقيقة، سيحاول الدّجّال الوصول إليه، ومحاصرة المسلمين الموجودين داخله، إلّا أنّ سيّدنا عيسى المسيح ﷺ والذي سينزل في ذلك الوقت من السّماء سيتبعه ويقتله. وهذا ما قاله سيّدنا محمّد ﷺ: "**فإذا انصرف، قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجّال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلّى وساج، فإذا نظر إليه الدجّال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربًا...، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود...**"[2]. وجاء في صحيح مسلم: "فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذابَ حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته"[3].

جميل: ولماذا يلوّث يديه الطّاهرتين بدمائه القذرة؟ فليتركه فلينذُب لا ردّه الله!

الأمّ: حتّى لا يبقى أدنى شكّ في موته وتكون فرصته مؤاتية لإبليس ليزرع الخوف في قلوب المؤمنين، وكذلك ليفرح المؤمنون بنصر الله **{لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}** [الروم: 4 ــ 5].

وقال الله سبحانه وتعالى الذي يحبّ المؤمنين ويريد رفع رايتهم وتسكين قلوبهم **{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** [التوبة: 14 ــ 15].

الأولاد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

الأب: أعتذر منكم، فأنا تعب، لقد كان يومي مليئًا بالعمل المتعب، ولم يعد باستطاعتي البقاء معكم.

---

(1) البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، حديث رقم (1864)، ومسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم (1397).

(2) صحيح الجامع الصغير (7522).

(3) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، حديث رقم (2897).

الأمّ: إذن نتوقّف ونكمل غدًا بإذن الله.

وفي اليوم التّالي: ومع تتابع أحداث أشراط السّاعة، اجتمع الجميع في غرفة الجلوس، بعد انتهائهم من صلاة المغرب جماعة في المسجد...

ولترطّب أمّ أحمد الجوّ جهّزت أكواب عصير التّوت الطّيّب البارد المثلّج...

ثم استعدّت العائلة لإكمال السماع عن أشراط السّاعة الكبرى.

أمّ أحمد: تحدّثنا عن المهديّ، وقلنا كيف سيكون وجوده متلازمًا مع خروج أعور الدّجّال ونزول عيسى عليه السّلام، وقلنا أنّ هناك كثيرًا من الأحاديث المتواترة التي تثبت أن المهديّ هو غير عيسى ابن مريم.

واستأنفت الأمّ الكلام: لن نخوض الآن في قصّة نزول سيّدنا عيسى عليه السّلام، ولكنّ الاختلاف بدا بالحديث عن سيّدنا المهديّ رضي الله عنه. فمن النّاس من يقول إنّ ظهوره سوف يسبق الدّجّال، ومنهم من يقول إنّه سَيَليه، ولكن بكلّ تأكيد أنّ ظهوره يسبق نزول سيّدنا عيسى عليه السّلام.

جميع الأحاديث المتواترة التي تتحدّث عن ظهور المهديّ تؤكّد أنّه سيكون في وقت تكثر فيه الفتن والملاحم والزّلازل، ويسود فيه الهرج ــ أي القتل ــ وتكاد تنعدم فيه الأخلاق الكريمة إلّا نادرًا، ويصدّق فيه الكاذب، ويكذّب الصّادق ويؤتمن الخائن ويخوّن الأمين، ويحكم النّاسَ سفهاؤهم، ويُنفى حكماؤهم، ويذهب الصّالحون ــ فلا تكادون تجدون إنسانًا صالحًا ــ لا لأنّهم زالوا عن وجه الأرض، ولكن لأنّهم يخشَون الظّهور لاستخفاف النّاس بهم وعدم احترامهم لهم. فــظهور الإمام المهديّ مؤشّر على تصفية أوضاع العالم الإنسانيّ، وفكّ العقد المستعصية، قبل قيام السّاعة النّهائيّ الذي يعني الانهيار العميق، في الذّاتيّة الآدميّة، والإيقاف الحاسم لاستمراريّة النّوع الإنسانيّ، والإقفال المحكم لباب التّوبة، والقبض المطبق للإيمان وأهل الإيمان.

فمن أجل ذلك، يكون مجيء المهديّ آخر فرصة متاحة للهداية، يتيحها الله جلّ جلاله، رحمة منه بعباده...)[1].

(1) عيسى، عبدالرحمن، المهدي: قيادة وفكر... ووعد حق، حلب/ دار الكتاب النفيس، 1406هـ، ص51.

أحمد: هذا معناه أنّ الحال لن تصطلح، والأمن لن يستتب إلّا بعودة الإسلام بشكله الصّحيح ليحكم العالم على يد المهديّ.

الأمّ: هذا صحيح.

أحمد: ولكنّ الأمارات المبشّرة بظهوره، المذكورة في الأحاديث الشّريفة، قد ظهرت، فالزّلازل كثرت والأخلاق تخلّلت، والخوف حلّ في القلوب، والظّلم فشا، والحقوق ضاعت، فلِمَ لا يظهر الآن، وقد صار الجوّ مهيّئًا؟

الأمّ: ليس بعد، فالنّاس ما يزالون بعيدين عن الدّين، إنّهم يرفضون حتّى مجرّد سماع اسمه، وما زالوا متمسّكين بالأنظمة والقوانين التي وضعوها، ولا يريدون العدول عنها، والإسلام ليس أثوابًا مفصّلة، ولا إدارات جاهزة، ولا حتّى برامج معدّة ومسبقًا...

جميل: كيف هذا؟ فالقرآن ما زال موجودًا، وعلماء الدّين يقرؤونه ويفسّرونه ويَعَلِّمون أحكامه، وكذلك الأمر بالنّسبة للحديث النّبويّ، فهم الذين يستطيعون توجيه الحكّام إلى الطّريقة المثلى للحكم.

الأمّ: (هل يمكن أن نطلب من إنسان بعيد من الدّين ولم يقرأ شيئًا عن الإسلام، وأمضى حياته العمليّة في أجهزة حكم مدنيّ ودنيويّ أو علمانيّ ولا دينيّ، أن ينقلب في ليلة وضحاها إلى عامل في نطاق الحكم الإسلاميّ، وإذا فعلنا هذا واستجاب لنا، فهل يعقل أن يطبّق أحكام الشّريعة الإسلاميّة الغرّاء بأمانة واستقامة، لا لشيء إلّا لأنّ الواجهة العليا للدّولة قد تغيّرت وانقلبت، وأنّ فئة يستهويها الحكم الإسلاميّ قد فرضت هواها على الدّولة؟)[1].

جميل: ماذا تقصدين؟

الأمّ: (إنّ الحكم الإسلاميّ أمر مثير وخطير، وذو حساسيّة مرهفة، ومدار هائل، ولكنّه بالطّبع ليس نسخًا مستنسخة، ولا صيغًا جاهزة، وليس القول أصلًا في الأحكام الثّابتة، والحدود القاطعة، التي تشكّل روح الشّرع المحمّديّ الخالد)[2].

ـــ جميل: وكيف يكون إذًا؟

---

(1) مستوحى من: **عيسى، عبدالرحمن، المهدي: قيادة وفكر... ووعد حق**، ص93.

(2) م.ن.، ص96.

ــ الأمّ: يقول المثل: كما تكونون يولّى عليكم. هذا معناه أنّ المفترض على النّاس أن يعودوا إلى الدّين الحقّ عَوْدًا حميدًا، يتدارسونه، ويستوعبون أوامره ونواهيه، يغرسونها في نفوسهم غرسًا ثمّ يتعهّدون هذه الغراس بالعناية والتّهذيب والعمل لتطمئنّ وترسخ بأمان. فإذا تمّ هذا، وصار جميع النّاس، أو أكثرهم مستعدّين ليتولّى أمرهم رجلٌ صالح يقودهم إلى الخير والصّلاح، عند ذاك فقط، نقول إنّ الوقت قد حان لظهور المهديّ، فينظّم العلاقات ويقيم الحقوق والحدود، ويعيد صياغة الحياة، دون ممانع أو منازع، وجود أيّ سلطة مضادّة، تستبدّ بالأمر، أو تنازع فيه أو تمنعه وتقضي عليه.

تتابع أمّ أحمد السّرد: أمّا العلامة الثّالثة التي تتزامن مع ظهور المهديّ والأعور الدّجّال فهي نزول سيّدنا عيسى ابن مريم عليه السّلام.

ــ سامي: ذكرتِ ذلك سابقًا، وقلت إنّ له صفات تتّفق معها بعض أوصاف الأعور الدّجّال، فما هي صفاته.

ــ الأمّ: قال رسول الله ﷺ: "**لقد رأيتني في الحِجر[1]، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكُربت كربة ما كُربت مثلها قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما سألوني عن شيء إلاّ أنبأتهم به. وقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْبٌ جعدٌ كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى ابن مريم عليه السّلام قائم يصلي. أقرب الناس شبهًا به عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السّلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم** ــ يعني نفسه ــ..."[2].

ــ سامي: ومن هو عروة بن مسعود الثّقفيّ؟

ــ الأمّ: هو أحد الصّحابة رضي الله عنهم أجمعين، (أسلم بعد انصراف النّبيّ ﷺ من الطّائف، وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبيّة، وكان رجلًا محبّبًا مطاعًا في قومه أهل الطّائف، فلمّا

(1) الحجر: مكان قرب المدينة المنورة.

(2) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رواية عن أبي هريرة، حديث رقم (172).

دعاهم إلى الإسلام قتلوه... فقال فيه النّبيّ ﷺ: "**مثل عروة مثل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله، فقتلوه**")[1].

ـــ جميل: فلنعد إلى أوصاف سيّدنا عيسى عليه السّلام.

ـــ الأمّ: جاء في وصف سيّدنا محمّد ﷺ له: قال: "أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلًا آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لِمة كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم، قد رجّلها[2]، فهي تقطر ماءً، متّكئًا على رَجلين أو على عواتق رَجلين، يطوف بالبيت، فسألت: مَن هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم"[3].

ـــ أحمد: هل سيكون نزوله فقط لقتل المسيح الدّجّال!؟

ـــ الأمّ: هذا ليس شيئًا بسيطًا، إنّه بهذا سيخلّص المسلمين من الفتنة والقهر.

ـــ أحمد: سيخلِّص المسلمين فقط؟ وماذا يحصل بباقي النّاس؟

ـــ الأمّ: عندما يظهر المهديّ وعيسى المسيح عليهما السّلام ويرى النّاس صلاحهما وصلاح الأحوال على أيديهما، سيُقبِل كثير من غير المسلمين على الإسلام، ولن تعود هناك ملّة أخرى على وجه الأرض، عند ذلك سيكون النّاس إمّا مؤمنين وإمّا كافرين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ليس بيني وبينه ـــ يعني عيسى ـــ عليه السّلام نبيٌّ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين[4]، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويُهلِك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجّال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون"[5].

ـــ سامي: هل سيكسر كلّ الصّلبان؟ أم هناك صليب معيّن يقوم بكسره.

---

(1) الوابل، يوسف بن عبدالله، **أشراط الساعة**، ص238 (الحاشية (3)).

(2) رجّلها: مشّطها.

(3) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا بالليل، حديث رقم (6999)، وحديث (3440)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، حديث رقم (169).

(4) ممصرتين: الثياب التي فيها صفرة خفيفة.

(5) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، حديث رقم (4324).

ــ الأمّ: هذا تعبير مجازيّ، كناية عن أنه سيزيل جميع الملل، ويُكرِه أهل الكتاب[1] على الإسلام، فلا يقبل منهم الجزية، بل الإسلام أو القتل.

ــ أحمد: ولماذا لا يقبل الجزية، ألم يقبلها سيّدنا محمّد ﷺ منهم ويبقِهم على شريعتهم؟

ــ الأمّ: لأنّ الأوان قد انتهى، وحان موعد النّهاية، ولا بدّ أن يحقّ الحقّ وينمحق[2] الباطل، ولا بدّ أن ينفصل المؤمنون عن الكافرين.

ــ جميل: أين وكيف سيكون نزوله؟

ــ الأمّ: سينزل على المنارة البيضاء الشّرقيّة بدمشق، وهي المنارة التي توجد في الجامع الأمويّ، إذ ليس في دمشق منارة أخرى بيضاء وسيكون نزوله في وقت أقيمت فيه الصّلاة والنّاس في المسجد يصلّون وراء إمامهم، فيتراجع الإمام ويقول لعيسى عليه السّلام: يا روح الله! تقدّم، فيقول: بل تقدّم أنت، فإنّها قد أقيمت لك.

وهذا ما أخبر به سيّدنا محمّد ﷺ في حديثه الطّويل الذي رواه عنه النّوّاس بن سمعان: "إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلّا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه ــ أي يطلب الدّجّال ــ حتّى يدركه بباب لدّ، فيقتله، ثمّ يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة"[3].

أمّ أحمد: يكون هناك دليل من كلام الله العزيز: فقد جاء في سورة الزخرف **{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}** [الزخرف: 57 ــ 61].

---

(1) أهل الكتاب: المسيحيون واليهود.

(2) ينمحق: يزول.

(3) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم (2937).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}**، أي: نزول عيسى قبل يوم القيامة علامة على قرب السّاعة[1].

وقوله تعالى: **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}** [النساء: 157 ــ 159].

ــ جميل: أكاد أتخيّل اليهود حين يترل عيسى ابن مريم عليه السّلام، ويَرَونه أمامهم حيًّا يرزق، وقد أصابهم الذّهول وشُلّت ألسنتهم وأجسامهم. لقد زعموا كثيرًا أنّهم صلبوه وقتلوه، فإذا عاد إلى الأرض أثبت لهم كذبهم، وسيسقط في أيدي غيرهم ممّن صدّقوا كلامهم سواء كانوا من أتباع المسيح أو من غيرهم.

ــ يتابع جميل ويقول: كيف يترل نبيٌّ جديد إلى الأرض، أليس سيّدنا محمّد ﷺ هو خاتم الأنبياء؟

ــ الأمّ: إنّ سيّدنا عيسى سيحكم بشرع الإسلام، ولن يأتي بشرع جديد، فالله سبحانه وتعالى قد أخذ العهد على الأنبياء بترك شرعهم واتّباع شرع سيّدنا محمّد ﷺ إذا ظهر في أيامهم كما أخبر سيّدنا محمّد ﷺ صديقه عمر بن الخطّاب: **"لو كان موسى حيًا؛ ما وسعه إلا اتّباعي"**[2].

وبعد ذلك يموت عيسى عليه الصّلاة والسّلام ويصلّي عليه المسلمون، كما قال سيّدنا محمّد ﷺ [3].

ــ سامي: وهل تقوم القيامة بموت سيّدنا عيسى عليه السّلام؟

ــ الأمّ: لا، ما زال هناك علامات وأشراط بين يدي السّاعة، فسوف يخرج يأجوج ومأجوج ويأكلون الأخضر واليابس كالجراد وتجفّ بسببهم بحيرة طبريّة، وتحصل خسوفات ثلاثة في المشرق والمغرب، ويظهر دخان، ونار تحشر النّاس إلى أرض المحشر، وطلوع الشّمس من مغربها، ودابة تخرج

---

(1) تفسير القرطبي (105/16).

(2) مسند الإمام أحمد (387/3 ــ بهامشه منتخب الكتز).

(3) مسند الإمام أحمد (406/2)، بهامشه منتخب الكتز، وسنن أبي داود (456/1) مع عون المعبود.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من الأرض يراها جميع النّاس تطبع على وجوههم لفظي كافر أو مؤمن، ولا يتمكّن أحد من إنكار رؤيته لها.

سامي: فمن هذان الرّجلان؟ وكيف يأكلان جميع الطّعام ويشربان البحيرة هل هما غولان؟

ــ الأمّ: الغول حيوان خرافيّ، ليس له وجود إلّا في خيال النّاس، أمّا يأجوج ومأجوج فهما أمّة من الأمم ــ كما تعلمون[1].

تتابع أمّ أحمد السرد فتقول: لقد درسنا هذا سابقًا في سورة الكهف ألم نقرأها وقرأنا اسم يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم في قصّة ذي القرنين المذكورة في سورة الكهف **{حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}**[2] [الكهف: 93 ــ 98].

ــ سامي: وأين يقع هذا السّدّ؟

ــ الأمّ: لا أحد يعلم مكانه بالتّحديد، ولم يستطيعوا ذلك بالرّغم من بحثهم عنه بالأقمار الصّناعيّة.

ــ سامي: إذًا، فلم يعد له وجود الآن.

ــ الأم: كيف تقول هذا؟ إنّ زواله إحدى علامات السّاعة الكبرى، وهي لم تبدأ بعد.

ــ أحمد: ذو القرنين، هل هو القائد التّاريخيّ المشهور الإسكندر ذو القرنين؟ لقد درسنا عنه وعرفنا أنّه قائد عظيم.

---

(1) ذكر ذلك في قصة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام.

(2) لقد استخدمت هذه الطريقة حديثًا في تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته، وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ــ الأمّ: لا، ليس هو، فالإسكندر كان إغريقيًّا وثنيًّا، أمّا الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم فكان مؤمنًا موحّدًا بالله معتقدًا بالبعث والآخرة.

ــ سامي: كيف عرفت هذا؟

ــ الأمّ: لن أقول لك إنّ كتب التّاريخ العربيّ القديم تؤكّد ذلك، فالتّاريخ قد يحتوي على كثير من الأخطاء، ولكن أقول إنّ القرآن الكريم يثبت هذا. فالسّدّ الذي بناه لم يكن من تصميم البشر، ولو كان الأمر هكذا لما سمحوا لسدّ مأرب بالانهيار، ونحن نقول إنّ سدّ ذي القرنين ما زال صامدًا إلى اليوم ولم يستطع القاطنون خلفه أن يحدثوا فيه إلّا فتحه صغيرة بحجم الحلقة الناتجة عن الإصبعين الإبهام والسّبّابة، وذلك في حياة سيّدنا محمّد ﷺ: **"لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخَبَث"**[1]، وما زالت هذه الفتحة كما هي لم يقدروا على توسعتها، ولن يستطيعوا ذلك إلّا عندما يأتي أمر الله **{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا}** [الكهف: 98 ــ 99]، ولهذا نعرف أنّ السّدّ كان وحيًا من الله تعالى كما أوحى إلى نوح بصنع الفلك.

ــ جميل: هذا يعني أنّه كان نبيًّا؟

ــ الأمّ: هناك من يقول هذا، كما يقولون عن الخضر عليه السّلام، ولكن لا شيء يؤكّد ذلك. يكفي أن نقول إنّهما رجلان صالحان.

أمّا الدّليل الثّاني على إيمان الرّجل يأتي من السّورة نفسها وفي بداية القصّة التي تتحدّث عن أعماله **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ**

---

(1) رواية عن أم المؤمنين زينب بنت جحش، رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: **"ويل للعرب من شر قد اقترب"**، حديث رقم (7059)، رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، حديث رقم (2880).

فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} [الكهف: 83 ــ 88] فالله سبحانه وتعالى لا يوحي إلّا لعباده الصّالحين والمؤمنين.

ــ جميل: قلت في بداية حديثك عن السّور الذي بناه ذو القرنين أن لا أحد يعرف مكانه، كيف هذا والنّصّ القرآنيّ يثبت أنّه عند مطلع الشّمس؟ كما أنّه ذهب إلى مغرب الشّمس!

ــ الأمّ: وأين هو مغرب الشمس أو مطلعها؟

ــ جميل: طبعًا هي تغرب في جهة الغرب وتطلع في جهة الشّرق.

ــ الأمّ: لا تنسَ أنّ الأرض شبه كرويّة، وما نسميه نحن الشّرق قد يكون عند غيرنا الغرب، فكيف نحدّد الجهة التي توجّه إليها هذا الرّجل الصّالح؟ ثمّ إن الله سبحانه وتعالى ذكر أنّه ربّ المشارق والمغارب **{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ}** [الصافات: 5]. **{فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ}** [المعارج: 40].

ــ جميل: أنت محقّة في قولك. أعتذر عن هذا الخطأ، كان يجب أن أكون أكثر انتباهًا.

ــ الأمّ: لا بأس، لا تبتئس، كثيرًا ما تغيب عن الإنسان أشياء قد تكون بدهيّة.

ــ سامي: هل هناك أحاديث نبويّة تصفهم لنا؟

ــ الأمّ: أجل، لقد روى الصّحابيّ عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد، إلا ترك من ذرّيته ألفًا فصاعدًا"[1].

تعجب الأولاد من العدد الضّخم الذي بلغه أبناء يأجوج ومأجوج.

وتابعت الأمّ: وقال أيضًا عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: "إنّكم تقولون: لا عدو، وإنّكم لا تزالون تقاتلون عدوًا حتى يأتي يأجوج ومأجوج: عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف[2]، من كل حَدَب ينسلون، كأن وجوههم المجانّ المطرقة"[3].

---

(1) الحاكم في المستدرك (490/4)، وورد في فتح الباري (107/13).

(2) الشعاف: أعلى شعر الرأس.

(3) مسند الإمام أحمد (271/5 ــ بهامشه منتخب الكتر).

ــ الأولاد: أجارنا الله منهم وصبّرَنا على مصائبهم التي يصيبوننا بها، ولكن كيف نتخلّص منهم؟ ألا نقاتلهم؟

ــ الأمّ: لا، لا، لا أحد يستطيع قتالهم إنّهم أقوياء جدًّا ولا يخافون أحدًا، ولكنّ الله سبحانه وتعالى يخلّص العالم من شرورهم ويبيدهم عن بكرة أبيهم.

ــ سامي: وكيف سيكون ذلك؟

ــ الأمّ: قال رسول الله ﷺ: "...**ويخرجون[1] على النّاس، فيستقون المياه، ويفرّ الناس منهم، فيرمون سهامهم في السماء، فترجع مخضّبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وغلبنا مَن في السماء قوّة وعلوًّا**". قال: "**فبعث الله عزَّ وجلَّ عليهم نغفًا[2] في أقفائهم**". قال: "**فيهلكهم، والذي نفس محمد بيده؛ إن دواب الأرض لتسمن، وتبطر، وتشكر شكرًا، وتسكر سكرًا من لحومهم**"[3].

ــ الأولاد: لا إله إلّا الله محمّد ﷺ رسول الله. اللهم نجّنا منهم.

لقد وصلنا إلى علامة يستطيع كلّ إنسان رؤيتها، ولا يمكنكم إنكارها ألا وهي مجيء دخان يغطّي السّماء من كافّة نواحيها، وقد اعتبر رسول الله ﷺ هذا الدّخان من علامات السّاعة لأنّ النّاس سيعانون منه الأمرّين كما ورد في القرآن الكريم: **{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [الدخان: 10 ــ 11].

ــ أحمد: هذا ليس جديدًا، فكثيرًا ما ننظر إلى السماء، ولا سيّما في أيّام الربيع، فنرى زرقة السّماء مغطّاة بما يشبه الدّخان، أو نرى الضّباب وهو يحجب الرّؤية ويؤذي النّاس.

ــ الأمّ: ليس هذا هو المقصود، فقد وصفه لنا سيّدنا محمّد ﷺ بقوله: "**إنّ ربكم أنذركم ثلاثًا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة[4] ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه**"[5].

---

(1) يأجوج ومأجوج.

(2) نغفًا: دودًا.

(3) سنن الترمذي، تفسير سورة الكهف (597/8 ــ 599). وسنن ابن ماجه (1364/2)، والحاكم في المستدرك (488/4).

(4) الزكمة: الزكام.

(5) رواه الطبراني، (292/3)، حديث رقم (3440).

ــ جميل: هذا يذكّرني بقصّة قوم هود وما أصابهم عندما هاجمتهم الرّيح العقيم، فدخلت على الكافرين بيوتهم ومغاورهم وأخرجتهم منها وحملتهم إلى أعالي الفضاء ثمّ أسقطتهم فأبادتهم، في حين كان المؤمنون يجلسون في أماكنهم آمنين.

ــ الأمّ: بالضبط، فالله سبحانه وتعالى يدافع عن عباده المؤمنين ويحميهم من كلّ شرّ.

ولكنّ العلماء اختلفوا في ما إذا كان هذا الدّخان قد ظهر أم لا، فقد قال بعضهم إنّه هو ما أصاب قريشًا من الشّدّة والجوع عندما دعا عليهم النّبيّ ﷺ حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون في السّماء كهيئة الدّخان[1]. وبعضهم الآخر أنكر هذا الكلام وصمّم أنّه من الآيات المنتظرة، والتي لم تأتِ بعد وسيقع قرب قيام السّاعة.

ــ سامي: ومن هم هؤلاء العلماء؟

ــ الأمّ: إنّهم من أصحاب رسول الله ﷺ أو تابعيهم. فقد روى الصّحابيّ عبدالله بن مسعود "خمس قد مضين: اللزام، والرّوم، والبطشة، والقمر والدّخان"[2].

وحديث آخر، رواه أحد الأئمة الذين لازموا الصّحابيّ عبدالله بن عباس واسمه مجاهد، فقد ذكرحديثًا عن ابن مسعود نفسه يقول: (هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر؛ فتثقب مسامعه)[3].

انطلق الأولاد يهلّلون ويكبّرون ويسبّحون، ويدعون ربّهم أن يكونوا من المؤمنين دومًا وأبدًا.

ــ أحمد: ذكرتِ أنّ من العلامات الكبرى خسوفات ثلاثة. فما هي؟

ــ الأمّ: كثيرًا ما نسمع عن أراضٍ وبيوت تخسف بما فيها ومَن فيها، فعلى مرّ الزّمان أصاب الخسف مدينة بيروت سبع مرّات، ثمّ تمّ إعادة إعمارها، وفي عام 1957 حدث خسف في منطقة لبنانيّة ما زالت آثاره ظاهرة للعيان، مع أنّ الباقين من أهلها أعادوا إعمارها، وكثيرًا ما نسمع اليوم عن بلاد غارت وزالت عن وجه الأرض ممّا لا مجال لذكره هنا، ولكنّ الخسوفات الثّلاثة التي يتحدّث عنها الرّسول ﷺ، هي خسوفات غير قابلة للإصلاح والإعمار، لأنّها ستكون ضخمة جدًّا، كما

---

(1) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون، حديث رقم (4825).

(2) اللزام: هو ما جاء في قوله تعالى: **{فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا}** [الفرقان: 77]، أي: يكون عذابًا لازمًا يهلكهم نتيجة تكذيبهم.

(3) تفسير الطبري، 52/114 ــ 115.

حدث لقارون، وهو من قوم سيّدنا موسى أصابه الغرور بسبب العلم الذي اكتسبه فصار به يحوّل كلّ المعادن ذهبًا، فطغا وتجبّر واعتقد أنّه هو القادر على هذا العمل ــ تحويل المعادن ــ ونسي قدرة الله تعالى، فافتتن به بنو إسرائيل وغيرهم، وصاروا يتمنّون لو أنّ لهم ماله. ولأنّه طغا وتجبّر وآذى سيّدنا موسى خسف الله عزَّ وجلَّ به وبأرضه وداره **{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}** [القصص: 81 ــ 82].

ــ سامي: ولكن لديّ سؤال: الله سبحانه وتعالى يحبّ عباده الصّالحين ويحميهم ويدافع عنهم، فكيف سيحميهم إذا خسف ببلادهم؟ هل سيخرجهم منها أم سيفنيهم مع الباقين؟

ــ الأمّ: هذا السّؤال طرحته أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ عندما كان يحدّث عن علامات السّاعة وقال: "**سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب؟**". فقالت أمّ سلمة: أيخسف بالأرض وفيها الصّالحون؟ قال لها رسول الله ﷺ: "**إذا أكثر أهلها الخَبَث**"[1].

ــ جميل: وماذا عن طلوع الشّمس من مغربها؟

ــ الأمّ: تعوّدنا أن نرى السّنن الكونيّة تسير وفقًا لنظام معيّن لا تحيد عنه ــ إلّا كما قلنا في مرّات سابقة ــ معجزة لنبي أو كرامة لولي، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر ذلك النّظام الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر. فمثلًا ورد في سورة يس: **{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}** [يس: 38 ــ 40].

وجاء في سورة الرّعد: **{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}** [الرعد: 2].

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: "في الصحيح بعضه، وفيه حكيم بن نافع، وثّقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات.

وقال أيضًا: {**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**} [الرحمن: 5].

لذا فإنّ أدنى تغيّر في حركة الأفلاك يعتبر علامة كونيّة على اقتراب السّاعة. فكيف إذا كان هذا التّغيّر يتعلّق بمكان الشّروق والغروب فالشّروق مشتقّ من كلمة شرق، والغروب من كلمة غرب، كما أنّ حركة الإنسان تعني حياته، وسكونه الدّائم يعني موته، فهل يعقل أن تبدأ الحياة من حيث يجب أن تكون بداية الموت. هذا ما سيحصل للشّمس عند اقتراب يوم القيامة، فإنّها ستشرق من مغربها.

روى الشّيخان (بخاريّ ومسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس؛ آمنوا أجمعون، فذاك حين لاينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا"[1].

إذا طلعت الشمس من مغربها، فإنّه لا يقبل الإيمان ممّن لم يكن قبل ذلك مؤمنًا، كما لا تقبل توبة العاصي، وذلك لأنّ طلوع الشّمس من مغربها آية عظيمة، يراها كلّ من كان في ذلك الزّمان، فتنكشف لهم الحقائق ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتّصديق بالله تعالى وآياته، وحكمهم من ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى[2]، كما قال عزَّ وجلَّ: {**لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**} [غافر: 85].

الأولاد: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وسبحان الله العليّ القدير.

الأمّ: هنا لا تقبل توبة العبد قال القرطبي: "قال ﷺ: "**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**"[3]. ولا ينفع نفس إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها"[4].

وقال ﷺ: "لا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت؛ طُبِعَ على كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل".

---

(1) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث رقم (157).

(2) الوابل، يوسف، أشراط الساعة، ص397.

(3) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، بيروت/ لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م، ص794.

(4) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، بيروت/ لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م، ص792 [ينصح بدراسة هذا الكتاب].

الأولاد: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وسبحان الله العلي القدير.

الأمّ: ننتقل الآن إلى ذكر الدّابّة التي ستخبر النّاس من هو المؤمن ومن هو الكافر. فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ، قال تعالى: **{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ}** [النمل: 82]، وقال رسول الله ﷺ: **"ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"**[1].

سامي: وما هي هذه الدّابّة؟

الأمّ: اختلف الرّواة في وصفها وكنهها، والله أعلم ما هي؟؟ المهم أنّها ستخرج آخر الزّمان... فإذا ظهرت هذه الدّابّة وطلعت الشّمس من مغربها، لم يقبل بعد ذلك من كافر ولا فاسق توبة: (فإذا قطع عنهم التّعبّد لم يقرهم بعد ذلك في زماننا طويلًا).

وبعدما شدّ الأولاد أعصابهم لسماع علامات السّاعة الكبرى، قالوا: ربّنا زكِّ نفوسنا أنت خير من زكّاها أنت وليّها ومولاها، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. بعد ذلك قاموا ليؤدّوا صلاة نافلة الليل، ليكثروا من الدّعاء لله أن يحفظهم من شرّ الفتن.

(1) القرطبي، التذكرة، ص784.